حاصلة على جائزة الشيخ زايد

مملكة من عصير التفاح

«حواديت»

تأليف: أحمد الفخراني

دار نهضة مصر للنشر

أحمد الفخراني

مملكة عصير التفاح

تمّ إنتاج الكتاب الإلكتروني من قبل Hekayh
نشر الكتاب الإلكتروني 2017 ب Booqla
نشرت بواسطة دار نهضة مصر للنشر
حقوق التأليف والنشر © بواسطة دار نهضة مصر للنشر

حق النشر

هـهـلـكـــة
هـن عصـيـر التفـاح
«حـــواديـــت»
تأليف: أحـمـد الفخـرانـي
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
جميـع الحقـوق محفـوظـة © لدار نهضة مصر للنشر
يحظـــر طـبـــع أو نـشـــر أو تصـويـــر أو تخـزيـــن
أي جـزء هـن هـذا الكتـاب بأيـة وسيلـة إلكترونية أو ميكانيكية
أو بالتصويـر أو خـلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريـح من الناشـر.
الترقيم الدولى: 9-4227-14-977
رقم الإيداع: 2010/10796
الطبعة: ينايـر 2011

21 شارع أحمد عرابى- المهندسين - الجيزة
تليفـون : 33466434 - 33472864 02
فاكـــس : 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

إلـى مـس إيمـان...

لأنها أهدتني مفتاح العالم

أين ذهبت الحوريات إذن؟

كُنَّ هنا، أعرف.

جنيات الغابات، يعرفن الطريق دائمًا، ألهذا نتوه؟ هل تحتاج رؤيتهن إلى إيمان؟

مس إيمان، مدرستي، التي فقدت عرشها كأميرة في بلاد بعيدة، فاضطرت إلى تدريس الجغرافيا للابتدائي، كي تهديني مفتاح العالم المفقود.

أين ذهبت الساحرات اللاتي يخبئن الغيب في اختبار التفاحة؟

من أجلها، مس إيمان، اخترعت (صغيرًا)، قصة أحمد الفاتح، ولد شقي، مغامر، مرح، يخوض معارك وهمية مع العماليق، ويقذف الأشرار بالدوم، ويكتشف خريطة العالم المفقود في سجادة بيتهم المزركشة، لينشئ مملكة من عصير التفاح، ويزرع أشجارًا تثمر الشيكولاتة.

أين ذهب الحطاب الذي ولاه عرشُ قلبه على عرش الملك، والأمير المختبئ كضفدع في انتظار قبلة؟

تخلو حواديت الجنيات التي ستقرؤها من أي حكمة، سوى ما أضاءته لي عينا طفل يرغب في الاستراحة من ضجيج عبور الشارع، أحمد الفاتح لا يرغب إلا في تذوق البرقوق والتوت.

هو من يحكي، لست أنا، أنا كائن كنت بحوزته، ويخشى ضياعه في دنس التفاصيل.

ترددت كثيرًا قبل نشر تلك الحواديت؛ بدعوى أني أمتلك مشروعًا أكثر نضجًا من اصطياد الحوريات أسفل شجرة تين – مكانهن المفضل – لكن كان عليَّ أن أنتصر له، أحمد الفاتح، الطفل الذي سأظله، كـ «بيتر بان»، لا يكبر أبدًا.

أين ذهبت مس إيمان؟

لم أنسك، وها قد انتصرت لمخيلة لم يقتلها الوقت، لا تعرف سوى الطعم الأول للأشياء، للَولد الذي أخبرته مس إيمان «أنه ولد مضيء»، تلك التي حولت الجغرافيا إلى قبلة طويلة والتاريخ إلى عصير تفاح.. انتصرت له أم قتلته بالاعتصار؟!

افتح مسام روحك جيدًا، لا يعوقك شيء عن استقبال عزف «ولد مضيء»، ولا تنتظر منه سوى نهار يرى العالم، كما علمته مدرسة الدراسات، «مملكة من عصير التفاح».

أحـمـد الفـاتـــح

يناير 2009

إهـــداء

إلى: هبة إسماعيل ـ محمد عبدالله ندا ـ ملاك خالد..
أشجاري التي تثمر الشيكولاتة..

كيـــف صـــرت كحـــلًا؟

كنت ولدًا عاديًّا، أسير في الأسواق كسائر الناس، ولا أعترض أبدًا إذا ما رأيت المال في يد من لا يستحق، حتى عمَّ الفقر المدينة وزاد الجوع بينما صار الأغنياء أكثر مالًا ونفرًا.

لكني ظللت ولدًا مستور الحال، فلم أعترض. حتى رأيت بنتًا تتكحل بكحل جاء من بلاد بعيدة.. فقلت: كيف لها بكل هذا الترف وقد عمَّ الجوع المدينة؟!

فقلت: لا آكل ولا أشرب حتى يعود الميزان إلى نصابه. لكنه لم يعد. فظللت هكذا لا آكل ولا أشرب، حتى أصابني الهزال بخفة في يدي، فعلمت أنه قد أصبح لي يد لص، فوجدتني أسرق الكحل من العين. لكني كنت دائمًا لصًّا شريفًا، لا يسرق الكحل سوى من أعين البنات المترفات، وفي المساء كنت أوزع الكحل متخفيًا على بنات الحي، حتى علا ذكري بينهن وأصبحت حلمهن الخفي.

أسموني «صاحب الكحل» بينما صار اسمي رعبًا لكل البنات المترفات، لكني ظللت أمشي في الأسواق على هيئة ولد عادي، ولم أعطِ سري لمخلوق.

ولكن ذات ليلة مستورة القمر، كنت عائدًا متخفيًا بعد أن وزعت كل ما بجعبتي من كحل على بنات الحي أصفر وأغني، فأعجب القمر غنائي، فاستحال بدرًا، فأضاء لي وجه امرأة.

قلت: أهرب حتى لا ينكشف سري، ولكن قبل أن أفعل رفعت المرأة يدها فنزعت القمر من عرشه في السماء وجلست مكانه، فلما أضاءت انتزع نورها اللثام من فوق وجهي فانهتك سري، فقلت: هلكت! فصارت تتحسس وجهي على مهل قطعةً قطعةً كأنها تشربه، فقلت: ربما عيناها لا تبصران ما دامت تبصر بيديها.

لكن، كأنها عرفت ما جال ببالي فقالت: «لا يمنحنا تمامُ النور.. تمامَ الرؤية» وظلت هكذا حتى أدركت كل معالم وجهي فقالت: «ما أجملك!».. ثم وهبتني قبلة فصرت كحلًا رفعته بخفة ووضعته في عينيها.. ومن يومها وقد استسلمت لدوام حالي ككحل بعد أن كنت لصًّا أسرقه نهارًا وأفيض به كل ليلة على بنات الحي.

أغنيـــة هـــن رحيـــق العالـــم

يؤمن مروان بأن الجنيات قادمات، سيهبن العالم الملح الذي ينقصه، إنهن فقط يسوين القدور ويقصقصن أشرطة الزينة ويحضرن أوراق التوت التي ستغطي عورة العالم التي تتسع يومًا بعد يوم.

قال لحبيبته إنهن قادمات.. قالت بسخرية: لماذا تأخرن إذن؟ كاد يجيب: لأنهن يخبئن فرحة للعالم بأسره، إن تلك الأشياء تستغرق وقتًا.. لكنه لم يقل ذلك لأنها كانت تركته ومضت.

لم يفقد إيمانه بجدوى انتظار الجنيات، وترك حبيبته التي كانت لا تؤمن بهن وتفضل الأغنيات الحزينة التي تمجد الوحدة وتعلي من شأن الهجر تمضي، وقرر أن يصنع أغنية مبهجة تليق بحضور الجنيات عندما يفرغن من تسوية الفرحة في القدور.

خاض معركة كبيرة أثناء انتظاره خرج منها منهكًا، ثم طرده العشاق المهجورون من مدينتهم، لأنه فقد الوردة الزرقاء التي تميزهم.

ذهب إلى بلدة أخرى فرأى حبيبته التي هجرته بسبب إيمانه بالجنيات، كانت تبيع الأحلام للعابرين وتشتري أغنيات حزينة تمجد الوحدة وتعلي من شأن الهجر؛ أحلامًا ينقصها الخيال ولم يكن لأحد أن يشتريها سوى أنها فرصة سانحة للتخلص من الأغنيات الحزينة.

كانت تعود كل مساء إلى كوخ أبيض لتستمع إلى أغنياتها الحزينة.

لم يجد مروان مهنة تليق بعاشق مهجور فقد وردته الزرقاء، شعر للمرة الأولى أن الجنيات تأخرن فعلًا وتركنه وحده للهجر والبرد، وترك نفسه لصدى الأغنيات الحزينة التي تتردد من بيت حبيبته السابقة والتي كانت تشده إلى شباك كوخها الأبيض.

اضطره البرد لأن يتنكر على هيئة أغنية حزينة أمام كوخها، فأدخلته الكوخ وضمته إلى أغنياتها المفضلة، ومع الوقت صار أكثر حزنًا من أي أغنية، ففضلته على كل الأغنيات حتى إنها كانت تحمله معها أثناء ذهابها للسوق كي تبيع أحلامًا ينقصها الخيال، لم تعرف أن أغنيتها الحزينة تلك ما هي إلا مروان.

كانت ترتدي قرطًا في أذنها اليمنى وذيلًا ملونًا في أذنها اليسرى؛ مما كان يثير سخرية الناس بينما هي تظن أن ذلك يضفي عليها شيئًا من البهجة والتفرد. كانت ضحكاتهم تزداد يومًا بعد يوم حتى إنها تحولت إلى حجارة تقذفها، لكن مروان التقطها كلها قبل أن تمسها ثم حولها إلى عقد من الألماس، لم يعرف كيف فعل ذلك رغم أنه فقد وردة زرقاء تميز العشاق المهجورين لكن الأغرب هو أن عنق حبيبته قد تحول بعد أن ارتدت العقد إلى قطعة من المرمر، فكف الناس عن الالتفات إلى الذيل الملون في أذنها اليسرى.

ذات يوم ابتاعت أغنية أكثر حزنًا من مروان، فصارت تتركه في المنزل وتصطحب أغنيتها الأكثر حزنًا من كل الأغنيات التي جمعتها.

نام مروان بصحبة الأغنيات الحزينة منتظرًا عودتها في يأس من كل شيء، حتى إيمانه بالجنيات، لكن في منامه رأى جنية، قالت له: «كي تحضر الجنيات عليك أن تستعيد إيمانك بحضورهن وأنهن ما تأخرن إلا لأن تسوية الفرحة في القدور أمر يستغرق وقتًا».

صحا مروان ليجد إيقاعًا جديدًا قد تسرب إليه، حتى إنه نزع عن الأغنيات الحزينة شوكها القاسي وحولها إلى أغنيات مبهجة، كانت رائعة، لكن لم تكن إحداها مما يليق باستقبال الجنيات.

تجمع الناس حول كوخ نبقة بعد أن جذبتهم بهجة الأغنيات.

عندما عادت حبيبة مروان، ورأت تبدل أغنياتها الحزينة إلى أغنيات مبهجة لا تمجد الوحدة ولا تعلي من شأن الهجر، بكت وصرخت، فسكتت الأغنيات تمامًا، إلا الأغنية الوحيدة التي لم تتحول إلى أغنية مبهجة، كانت مروان نفسه.

انفض الناس عن الكوخ وعادوا للالتفات إلى ارتدائها قرطًا في الأذن اليمنى وذيلًا ملونًا في أذنها اليسرى، ثم لاحظوا أن وجهها كما أحلامها يفتقر إلى الخيال فعادوا إلى السخرية منها من جديد.

اعترف لها مروان بأنه هو حبيبها السابق وليس مجرد أغنية حزينة فطردته.

خرج مروان من كوخها الأبيض حتى جاءته رسالة أخرى في منام: «سنأتي لو صدق الناس أن الجنيات هناك» صحا مروان من نومه ليجد وردته الزرقاء التي تميز كونه عاشقًا مهجورًا.

وجد مروان المهنة التي تليق به: أن يحدث الناس عن الجنيات؛ لذا تنكر مرة أخرى على هيئة حلم، كان حلمًا بارعًا مليئًا بما يجيده مروان.. الخيال.

حلمًا يتحدث عن جنيات يسوين القدور ويقصقصن أشرطة الزينة ويحضرن أوراق التوت التي ستغطي عورة العالم التي تتسع يومًا بعد يوم.

تسلل في هيئته الجديدة كحلم إلى وسادة حبيبته بائعة الأحلام، فلما صحت، تشممت في الحلم رائحة مروان وكادت تقذف به من شباك كوخها الأبيض، لكنها لم تجد حلمًا آخر لتبيعه، فخرجت به إلى الأسواق لتشتري به أغنية أخرى حزينة.

لكن تلك المرة لم يقايضها أحد حلمها بأغنية حزينة، فظل الحلم بجوارها يحدثها عن الجنيات اللاتي سيهبن الفرحة إلى العالم واستمرت في محاولة بيعه، لكن سرعان ما وجدت أحلامًا أخرى تفتقر إلى الخيال فتركته للريح والشمس اللتين بعثرتاه في أركان العالم الأربعة، حتى بدأ الناس يتحدثون عن الجنيات، عن طيبتهن ورقتهن وحبهن العميق للعالم حتى إنهن تأخرن كل هذا الوقت كي يعددن لهم فرحة تليق بالعالم ولم يتركنهم للبرد والجوع والهجر كما يشاع.

صدق الناس، لكن الجنيات لم يأتين، بدأ الناس في السخرية والشك وأولهم بائعة الأحلام.

ظل مروان الذي تبعثر مع الحلم في أركان العالم الأربعة يلوم الجنيات على تأخرهن الذي جعله يفقد نبقة، لكن الرسالة التي جاءته قالت له: «كيف نأتي وأنت لم تعد لنا أغنية مبهجة تليق بحضور الجنيات ليرشُشْن الملح على العالم».

أخرج مروان وردته الزرقاء التي تميزه كعاشقٍ مهجور وجمع ورد العالم من أركانه الأربعة ثم عاد إلى بلدة حبيبته، قبله الورد وردةً تلو أخرى، وكل واحدة منهن كانت تصب رحيقها في فمه؛ رحيق ورد من جهات العالم الأربع.

في الصباح انتظر مروان حتى خرجت حبيبته لتبيع الأحلام بوجه يفتقر إلى الخيال ثم قبلها في عرض الطريق، ليصب في فمها رحيق الورد، لطمته على سوء أدبه، لكن الناس تسمَّروا أمام جمال وجهها الذي حمل رحيق العالم وحوَّلها إلى أغنية مبهجة؛ أغنية تليق بحضور الجنيات إلى العالم.

بيـت من الصلصـال

في نهاية الطريق.. مطعم.

مطعم يقدم وجبات إيطالية تملكه البنت تينة وتصنع وجباته بنفسها؛ وجبات لو ذاقها الإيطاليون لأنكروا ما عرفوه عن الطعام ولاتبعوا منهج تينة.

تينة.. لم تملكه بعد، فما زال الطريق إلى المطعم بعيدًا.

كانت في بداية الطريق تمامًا، ولا تملك شيئًا سوى أحلامٍ مؤجلة كتعلم رقص التانجو وعزف الكمان وتعلم الإيطالية وامتلاك مطعم.

تينة لها قلب أبيض، لكنَّ ساحرة عجوزًا سرقته، كان قلبها هو منبع الأحلام.

مع الوقت تآكل بيتها وعالمها، فقدت كل شيء بفقدان الأحلام، وجدت نفسها في جزيرة طائرة منفصلة عن كل شيء، كانت الجزيرة صغيرة ولا تزيد على خطوة قدميها وشجرة صلصال.. لو كنت مكان تينة.. لقاومت بالطبع، وهو ما فعلته تينة.. لكن من منا يملك خيال الصلصال ؟ تينة من بين قلائل تملكه.

لذا صنعت منه طريقًا طويلًا وضعت في نهايته مطعمًا يصنع الوجبات الإيطالية.

كان الطريق خاويًا من أي شيء؛ لذا احتلته الذئاب والعقارب.

لكنها صنعت بيتًا من الصلصال، واحتمت به من شرور العالم، وظلت تصنع داخله أسلحة تعينها على عبور الطريق إلى المطعم الإيطالي.. صنعت طائرة ورقية وحصانًا ونظارة رجل مُسن وخاتم سليمان.

ظلت تصنع وتصنع، ولم تقتنع قط بأن ما تملكه يكفي؛ لذا لم تخرج من بيتها قطُّ.

حتى أتى يوم اقتلعت الريح فيه كل ما تملك، فكان أمامها اختياران: أن تعيد الصنع، أو تستسلم تمامًا.

لكن تينة ليست مثلنا؛ لذا خرجت من بيتها مكتفية بتجربتها السابقة في الصنع وخرجت إلى العالم دون أن تملك شيئًا سوى ظل شجرة الصلصال وهو ظل لا يمكن لأحد امتلاكه إلا بامتلاك خياله.. ولأنكم عرفتم تينة فأنتم تصدقون مثلي أنها تمتلك خياله.

لذا مشت تينة في الطريق الخاوي مع ظلها؛ ظل شجرة من الصلصال.. ولما واجهها الخوف من خواء الطريق صنعت كمانًا من الصلصال.. لم تُجِد العزف عليه.. لكن استمرارها في محاولات إتقان العزف أنقذها من الخوف وجَعلها تمضي أكثر في طريقها إلى المطعم الإيطالي.

توقفت تينة هنيهة للشرب من البئر، لكن لم تكن هناك بئر؛ لذا صنعت بخيال ظلها بئرًا ودلوًا تخرج ماء الورد، كانت تينة قد أتقنت العزف على الكمان؛ لذا جاءها الناس من الأنحاء كافةً؛ ليشربوا ماء الورد من يد بنت تعزف الكمان وتملك ظلًّا من خيال الصلصال.

جمعت تينة نقودًا كثيرة أعطت نصفها لمعلم رقص، وكان معلم الرقص تنقصه دارٌ كبيرة لتعليم التانجو.. فبنت له تينة بخيال الظل دارًا من الصلصال وعندما دخلتها اكتشفت أن الدار في الأساس ينقصها معلم رقص، فصنعت واحدًا اختصها بالحب وجعلها أمهر من ترقص التانجو. رقصة التانجو قد لا تجعل مني ومنك شخصًا أفضل، ستجعلنا فقط أشخاصًا يجيدون التانجو .. لكننا نتحدث عن تينة؛ لذا فقد أعادت لها إجادتها لرقصة التانجو قلبها الأبيض الذي سرقته ساحرة عجوز فعادت أحلام تينة إلى السريان من جديد .

لكنَّ الذئاب والعقارب لا تحب الأحلام؛ لأنها تقاسمها خواء الطريق. لذا هاجمت أحلام تينة بضراوة، لكن رقصة التانجو منحتها القدرة على الفرار منهما.

بنت تينة لها بيتًا آخر من الصلصال، به كرسيٌّ هزاز وموسيقى تنبعث من المياه وأزهار تقرأ الطالع، وتركت شباك البيت مفتوحًا لدخول العصافير ورؤية مطعمها من بعيد.

نقرت العصافير من أجلها أعين الذئاب وقذفت العقارب في حريق كبير، صنعت تينة للعصافير عشًّا كبيرًا من صلصال، لكنها صحت من نومها ذات يوم فلم تجد عصافيرها.

حزنت تينة وظنت أن رقصة التانجو وخيال الصلصال غير كافيين لضمان محبة العصافير.

لكن بعد ثلاثة أيام عادت العصافير ومعها ثوب جميل؛ ثوب يصلح لأميرة في حدوتة إيطالية، نسجته لها العصافير من ضوء الشمس ورصعته بالنجوم، ارتدته تينة فطارت بها العصافير إلى مدينة تتحدث الإيطالية التي لم تكن تينة تجيدها.

شعرت بالوحدة في البداية، لكن الثوب كان مصنوعًا من ضوء الشمس – والشمس لمن لايعرف تجيد اللغات كلها – لذا علمها الثوب اللغة الإيطالية، تعلمتها ببراعة ثم خرجت بثوبها الجميل إلى أهل المدينة لتريهم كيف تناسبها اللغة الإيطالية تمامًا. لكن الساحرة العجوز مزقت ثوبها، فوجدت تينة نفسها فجأة ترتدي خرقة ممزقة من الليف وتمسح عتبة مطعم إيطالي.

أنا وأنت كنا سنخرج فورًا من الحدوتة.. لكن تينة ليست أنا أو أنت.. إنها تينة.. لذا ابتسمت بهدوء ومسحت عتبة المطعم بإخلاص ولم تبكِ على ثوبها الذي فقدته.

كانت كلما مسحته بإخلاص وجدت لؤلؤة، لم تكن تحتفظ بها بل تقدمها إلى صاحبة المطعم، فلما انتهت لآلئ العتبة أمرتها صاحبة المطعم بأن تمسح المطبخ علها تكتشف لآلئ أخرى.

لم تجد تينة لآلئ، لكنها كانت تعزف الكمان للوجبات، وعلمت الطباخ أن يطبخ على رقص التانجو، ولأن قلب تينة أبيض فقد كانت الوجبات تلتقط روائح أنفاسها الزكية؛ لذا كانت وجبات المطعم أجمل وألذ من أي مطعم آخر.

كان الطباخ مغرورًا وظن أن النجاح كله بفضله، فطلب من صاحبة المطعم لؤلؤة عن كل وجبة يعدها، فلما رفضت صاحبة المطعم جمع الطباخ أشياءه في قبعة الطباخ ورحل.

لم تعرف صاحبة المطعم ماذا تفعل بعد رحيله، لكنها دخلت المطبخ فوجدت تينة تعزف الكمان للوجبات وتعلم المساعدين رقص التانجو للوجبات أثناء الطبخ وتهبها رائحتها الزكية، فعينتها مكان الطباخ.

حققت صاحبة المطعم أرباحًا مضاعفة بسبب اكتفاء مطبخها بقلب تينة الأبيض ورحيل قلب الطباخ المغرور؛ لذا استطاعت صاحبة المطعم أن تهب تينة لؤلؤة في كل مرة تعد فيها وجبة.

وقع خيال ظل الصلصال في غرام صاحبة المطعم؛ لأنها كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها سيدة إيطالية فعرض عليها الزواج فوافقت صاحبة المطعم لأنها المرة الأولى التي ترى فيها خيال ظل من صلصال قادرًا على الابتسام بلا ملل.

قال لها خيال الظل إن متعته الحقيقية هي أن يجوب العالم لبناء بيوت من صلصال.

رحلت صاحبة المطعم معه بعد أن باعت مطعمها الإيطالي لتينة التي جمعت الكثير من اللآلئ الكافية لشراء عشرة مطاعم إيطالية.

أصبحت تينة صاحبة مطعم إيطالي كما تمنت في نهاية الطريق وطبقت شهرتها الآفاق، لأنها كانت تعد وجبات للفقراء والأغنياء ولم تمنع أحدًا عن طعامها المطبوخ على عزف الكمان ورقصة التانجو وأنفاس قلبها الأبيض الزكية.

أنا وأنت سنقول إن تلك نهاية جيدة لطريق تينة.. لكن تينة أخرجت صلصالها من جديد ورسمت طريقًا جديدًا يبدأ من المطعم الإيطالي وينتهي بقصر فوق السحاب.

الـلاشـيء الـعـظـيـم

فساد الأشياء يجعلنا نغفل عن التحدث بشكل لائق عن اللا شيء، رغم أنه الوحيد الذي بإمكانه أن يصير شيئًا حقيقيًّا ونادرًا.

كان على اللا شيء أن يحيا بعد انتهاء الشيء، لكنه لم يكن يملك قدمًا ليمشي ولا لسانًا ليحكي، مما اعتبره الآخرون ميزة مهمة فهو بلا تاريخ «لم يؤلم أحدًا لم يتألم من أحد» كان بلا أب أو أم أو حبيبة أو صديق أو ذكريات، فقط كان واقعًا من شيء جميل فسد.

ذات يوم هبط ملكان إلى الأرض ليهديا ثوبًا أبيض من حرير الجنة لهذا الشيء الجميل، لكن عندما نزلا وجداه قد فسد، فقررا الصعود بالثوب الأبيض مرة أخرى، لكن بعد أن يشاهدا المدينة أولًا.

قال أحدهما لصاحبه: إن الأرض جميلة رغم كل ما يصل إلينا عنها من حكايات سيئة. فقال الملاك الآخر: لكنهم دائمًا ما يفسدون الأشياء. قررا أن يشتريا هدايا وتذكارات من الأرض للسماء وشربا حمص الشام باستمتاع والتقطا بعض الصور لهما تذكرهما برحلتهما إلى الأرض.. حتى وجدا اللا شيء.. وعرفا أنه كل ما تبقى من شيء جميل فسد. قال الملك: نعطيه الثوب الأبيض ونرحل، فقال صاحبه: لكنه بلا قدم ليمشي أو لسان ليحكي، فأعطاه الملك: قدمًا ولسانًا.. تألم اللا شيء في البداية ألمًا عظيمًا ثم عطس، ثم سار في المدينة بلا ذكريات، فقط ثوب أبيض على جسد لم تلوثه الأرض.

علمه الملكان قبل رحيلهما أول درس: كل شيء هنا بثمن، تلك أرض تفسد الأشياء وليست سماء.. ثم أعطياه ثلاث بكرات من الخيط؛ واحدة قرمزية اللون والأخرى خضراء والثالثة زرقاء، وتركا معه عربة لبيع حمص الشام.

عمل اللا شيء في بيع حمص الشام واكتسب شهرة واسعة؛ لأن من كان يشرب من عنده كانت السماء تفتح له قلبها فيرى ما كان خفيًّا رغم وضوحه طيلة الوقت.

كان اللا شيء قد بدأ يتعلم أشياء جديدة ويكتسب ذكريات جديدة، فأصبحت الحياة بالنسبة له أكثر غموضًا.

كان يجد نفسه كل مساء يمسك ببكرات الخيط الثلاث ويغزل أشياء: ملابس، كرات، هدايا، قصائد، أكواخًا، قصورًا، شموسًا، ألعابًا، قبلات. لم يكن يعرف لمن يغزلها ولِمَ، فكانت تلك هي معرفته الثانية بالألم، إنه يغزل من أجل لا شيء.

حتى مرت عليه امرأة تطلب أن يعطيها مما أعطاه الله.. فقال لها: أنا لا شيء فقير، لكني أملك شيئًا، فذهب إلى بيته ثم عاد إليها فأعطاها شمسًا كان قد غزلها للا شيء، باعت المرأة تلك الشمس فصارت غنية. استمر اللا شيء يغزل ويغزل ولا يعرف لم، حتى أتاه ولد وبنت كانا يتشاجران لأنهما لا يملكان بيتًا، فأعطاهما بيتًا من غزله.

ثم جاءه شيء جميل فسد ليشرب من عنده حمص الشام ولم يكن يملك مليمًا

واحدًا، لم يتألم اللا شيء عند رؤيته ورغم شعوره بانتمائه إليه فإنها المرة الأولى التي يشعر فيها أنه لم يعد يملك شيئًا ليعطيه إياه؛ لذا لم يعطه شيئًا ولا حتى رشفة من حمص الشام.

فكانت تلك المرة الأولى التي يتسخ فيها ثوب اللا شيء الأبيض، الأمر الذي أزعج الملكين جدًّا.

فهبطا إلى حيث عربة حمص الشام وطلبا منه كوبيْن، لكنه قال لهما: كل شيء بثمن.. هذا أول درس تعلمته منكما.

قال الملك الأول: لكن ثوبك الأبيض يتسخ.

فزجرهما اللا شيء قائلًا: لا شأن لأحد بي، يكفيني ألمي من رغبتي الدائمة في الغزل للا شيء.

مسح الملك قميص اللا شيء الأبيض كي يستعيد نصاعته، فعاد اللا شيء لإعطاء ما يغزله لعابري السبيل حتى مر عليه شيء جميل فسد، فشعر معه أنه لم يعد يملك شيئًا ليعطيه فاتسخ قميصه الأبيض مرة أخرى، لكنه تلك المرة شعر بغضب؛ غضب قادر على إحراق كل شيء..

فنزل الملكان مرة أخرى وطلبا منه حمص شام لكنه طلب منهما الثمن أولًا.

مسحا قميصه حتى عاد إلى بياضه.. لكن تلك المرة لم ينتظر اللا شيء عودة شيء جميل فسد لكنه بحث عنه.. فلما وجده أعطاه البكرات الثلاث التي حصل عليها من الملكيْن.

فلما سأله الشيء الجميل الذي فسد عن سبب كرمه المفاجئ، قال اللا شيء: لا عليك.. ليس كرمًا، إنها أشياء تجلب الألم وأنا لا أحتاجها. أخذ الشيء الجميل الذي فسد البكرات الثلاث، ثم أعاد غزل نفسه بعد أن علمه اللاشيء كيف يفعل.. فعاد إلى هيئته الأولى جميلًا كما كان.

أما اللا شيء فصعد إلى الملكين في السماء ولما سألاه عن سبب مجيئه قال لهما: سأقيم معكما، إنهم يفسدون الأشياء في الأرض.. لكني تركت لأحدهم بكرات الخيط كي يعيد إصلاح ما يفسد.

أما الشيء الجميل فظل يغزل ويغزل ويغزل ولم يسأل نفسه قطُّ: لمَ؟! فكفت ذكرياته التعيسة عن الصراخ.

مملكة من عصير التفـاح

كان صراعًا رهيبًا، كاد ينتهي بمذبحة، لكن الأيام التي تمر بسرعة بساط سحري خففت الأمور إلى مجرد ندبة فوق فتحة العين وآثار لأربع غرز مع الوقت صارت تمنح جمالًا للوجه.

كنت وقتها أيضًا أدرك أن السماء أقرب من أي شيء لكن كان النظر إلى سجادة الصالة مغريًا أكثر.

كانت سجادة بيتنا تمتلئ بالزركشات التي لم أرها يومًا كمجرد زركشات خالية من المعنى؛ رأيتها خريطة لعالم مفقود، خريطة لأنهار وجبال ومدن، كل ما كان ينقصني للولوج إليه هو مفتاح ذلك العالم وقد حصلت عليه بفضل اجتهادي في مادة الدراسات؛ لأنني كنت أحب مدرستها مس إيمان التي كانت تشبه أميرة حقيقية خانها حظها فعملت في تدريس الدراسات.

كانت مس إيمان لا تدرس التاريخ كأي مدرس عادي بل تصنع منه عصير تفاح، وتشرح لنا الجغرافيا بوصفها قبلة طويلة، وكنت أكثر التلاميذ عشقًا لعصير التفاح والقبل الطويلة.

كنت أول من يجيب عن أسئلتها الصعبة بإجابات مثيرة للدهشة، لكنها كانت دائمًا صحيحة؛ ولذا حصلت منها على مفتاح العالم المفقود المختفي على هيئة سجادة في بيتنا.

كان الأمر يحتاج إلى شجاعة للرحيل وزاد للرحلة، لكن كان معي ما يكفي من عصير التفاح فضلًا عن قبلة مس إيمان الطويلة التي أهدتها لي مكافأة على شجاعتي في منام.

كان الطريق صعبًا حتى عبرت أول جبل ونهر ثم صدمتني الحدود الصارمة للممالك والقبائل المتناحرة، لكن الحوريات ألبسنني ثوب أحمد الفاتح ووضعن على خاصرتي سيف الإسكندر، كانت المرة الأولى التي أحمل فيها هذا السيف وأخبرتني أحلاهن أن عليَّ توحيد قبائل الفيل الأزرق، وهي قبائل كانت تتناحر من أجل حبة دوم لا يحصلون عليها بل يأكلها في النهاية فيل أزرق، وكانت تلك هي الخطوة الأولى لامتلاك العالم المفقود في سجادة بيتنا.

ذهبت إلى مدينة الفيل الأزرق بوصفي بائع دوم لكن في اليوم الأول رفضت أن أبيع حبة واحدة فقد كان الدوم لذيذًا حتى إني أكلته كله. في اليوم الثاني اشتعلت شرارة الحرب بين القبائل على حبة دوم والتي كانت دائمًا ما تنتهي بهزيمتهم جميعًا وفوز الفيل الأزرق بالحبة الشهية. فلما أشهروا سيوفهم للقتال أخرجت سيفي ورشقته في حبة الدوم قائلًا: الدم يعني الخراب.. لكن اللعب أفضل. ثم علمتهم لعب الكرة بالدوم، أعجبتهم اللعبة جدًا، حتى الفيل الأزرق نفسه أعجبه أن يمسك صفارة ويلعب حكمًا، لكنه أفسد مباريات كثيرة ؛لأنه كان يفضل التصفير بالصفارة على مراقبة المباريات.

اخترت قبيلة صغيرة للعب بفريقها، وساعدتني مهاراتي الخارقة كتمرير الكباري من بين أقدام اللاعبين والمراوغة على الانتصار والفوز بالجائزة التي حددتها من قبل: أن أشرب جبلًا من عصير التفاح.

لكن القبائل ملت اللعبة فعادوا للتشاجر على حبة الدوم. فلم أجد حلًّا سوى أن أرشق سيفي مرة أخرى في حبة الدوم وأصعد بها إلى قمة جبل عالٍ.

ظنوها لعبة فحاولوا الصعود للحصول عليها، لكني انتهزت الفرصة وتسللت عائدًا لأجلس على العرش الذي صنعته لي الحوريات بعد ما أتوا لي بحبة الدوم، وأصبحت حاكم المدينة، لكن لم أجد أحدًا لأحكمه؛ فقد كانت القبائل كلها تحاول تسلق الجبل للحصول على حبة دوم لم تعد هناك، لم أجد سوى فيل أزرق فعلمته لعب الكوتشينة وفزت عليه فكان لي أن أمتطيه.

فلما عادت القبائل ووجدوني قد حصلت على عرش جديد وفي يدي حبة الدوم وأمتطي فيلًا أزرق، ظنوها أيضًا لعبة، فلعبنا معًا لعبة الملك والرعية، وهكذا وحدت قبائل الفيل الأزرق تحت لواء أحمد الفاتح.

مرت الأيام وراء الأيام، وبدأت شهيتي للعب تضعف، ظنوا أني لا أريد مواصلة اللعب لكني أخبرتهم أنه لا توجد حكاية بدون أميرة، فأخبروني أن هناك أميرة في مدينة «الهررة» لكنها تضطر أحيانًا للخروج من عالمنا المفقود لتدريس التاريخ والجغرافيا.

فأرسلت إليها زوجين من حمام يتغازلان، فلما رأتهما فهمت الإشارة فأرسلت لي زوجين من الحمام غارقين في قبلة طويلة وفي قدم أنثى الحمام رسالة فلما قرأتها عرفت أن الأستاذ ممدوح مدرس الحساب والذي كان يعاقبنا كثيرًا لأن أصبعه مبتور – قد استولى على مدينة «الهررة»، ويعاقب أبناءها بالضرب على أيديهم، وأنه سيتزوج الأميرة غصبًا.

أمرت الفيل الأزرق بإطلاق نفير الحرب ففعل، فلم يجد سوى صافرة الحكم فأطلقها. تجمعت رعيتي وذهبنا لقتال الأمير ممدوح، وفي الطريق استولينا على بعض الممالك الصغيرة أثناء انشغاله بتعذيب فأر فزادت رقعة مملكتي، حتى قابلنا مفترق طرق ولم تكن هناك علامات وإذا أخطأت اختيار الطريق فسيهلك جيشي، ولأني خطَّاء كبير منذ نعومة أظفاري اخترت الطريق الخطأ.

هاجمتنا أسراب من النحل من فوق قلعتها بسهام من المطاط، أصيب فيلي الأزرق ورغم أنها لم تكن قاتلة فإنه ادعى أن السهام مسمومة. أخذت وقتًا في إقناعه بأن يكف عن ادعائه وأن عليه أن يفيق لكي تستمر اللعبة، لكنه قال لي: إذن اشفني بلحسة عسل.

اضطررت لمهاجمة قلعة النحل بأسلحة أكثر تطورًا فأخرجت بمبًا كثيرًا وأمرت جيشي أن يحتمي وراء كنبة الصالة وأن يقذف البمب من ورائه، أما أخي الصغير الذي قرر أن يشاركني توحيد العالم المفقود وتكوين مملكتي، فتخفى على هيئة نحلة وذهب ففتح له الحارس باب القلعة وهناك استطاع أن يأتي بلحسة العسل كي نشفي فيلي الأزرق، عاد إليَّ بها فأكلها الفيل الأزرق وعاد لاستكمال اللعب.

عاود النحل هجومًا أكثر ضراوة سقطت فيه أعداد كبيرة من جيشي، كدنا نهلك عن آخرنا وكادوا يأخذون مني ثوب أحمد الفاتح وسيف الإسكندر، ولولا ذكاء أخي الأوسط لهلكت، فقد أتى وفي يده مبيد حشري كنا نستخدمه في قتل الصراصير، وقرر أن يجربه مع النحل الذي استسلم وسلمنا مفاتيح القلعة التي رفعت فوقها علم أحمد الفاتح وتبعني في زحفي نحو «مدينة الهررة».

وصلت إلى هناك لأجد الأمير ممدوح قد «ذنَّب» المدينة بأكملها وجعل وجهها للحائط، كان جيشه شريرًا بحق وكان الأمير ممدوح يركب بساطًا سحريًّا لا يستحقه ويستخدم السحر الأسود كعمليات الجمع والطرح والقسمة والضرب في سحر الناس وإقناعهم بأنه ليس مجرد مدرس حساب في مدرسة ابتدائية، حتى إنه استخدم عمليات القسمة المطولة والزاوية القائمة في تسخير الأميرة إيمان لإرادته، فأنكرت رسالتي الثانية عندما أرسلت لها زوجي حمام يتغازلان فعادا إليَّ وهما يتشاجران. أرسل الأمير ممدوح ثلاث ساحرات شريرات يركبن مقشات كانت في الأساس لتنظيف الفصول والحوش، استطعن أن يأخذنني أسيرًا إلى الأمير ممدوح الذي قرر أن يبارزني بمسائل حسابية معقدة في ساحة المدينة. ظللت سجينًا طيلة ثلاثة أيام ولا أعلم شيئًا عن جيشي أو الأميرة إيمان أو فيلي الأزرق. كنت أخاف دائمًا من الحساب وأفكر في أن التاريخ يمكن أن يكون عصير تفاح والجغرافيا كقبلة طويلة على يد أميرة حقيقية كمس إيمان، ظل ذلك الأمر صادمًا لي طيلة العمر ولا أصدقه في كل مرة يقال لي فيها إن الحساب مهم.

أتى يوم المبارزة، وبدأ الأمير ممدوح في حصاري بالأسئلة وكلما سألني سؤالًا ازداد عرقي وتوتري، وأجبت إجابات خطأ، كاد أن ينتصر لولا أني أخرجت كتاب الدراسات الاجتماعية وحولت التاريخ أمامه إلى عصير تفاح والجغرافيا إلى قبلة طويلة وتحديته أن يفعل ذلك باستخدام السحر الأسود كالجمع والطرح والضرب والقسمة المطولة، فأرتج عليه الأمر وأمر أن أعود إلى زنزانتي.

وفي يوم زفاف الأمير ممدوح على مس إيمان، كان نفس اليوم الذي سيقدم فيه رأسي إلى المقصلة.

لكن عندما كان الأمير ممدوح يتزين، تسلل إليه النحل وظل يقرصه قرصات عديدة حتى تورم وجهه. أما فيلي الأزرق فقد هجر خوفه القديم من الطيران من أجل إنقاذي وفتح أبواب المدينة لجيشي الذي أقنع جيش الأمير ممدوح بأننا نلعب وعلموهم ألعابًا جميلة كنت قد اخترعتها من أجل جيشي.

انضم إلينا جيش الأمير ممدوح الذي ظل يعيد قراءة سحره الأسود ويتوعد لكن كان هذا وقت اللعب فبطل سحره عن الأميرة إيمان، وحررني الفيل الأزرق من زنزانتي وعاقبنا الأمير ممدوح بأسئلة كثيرة في التاريخ فلم يعرف فظل يعرق ويعرق ويعرق حتى ذاب.

حصلت على البساط السحري الذي كان يركبه الأمير ممدوح دون أن يستحقه ورفعت راية أحمد الفاتح لتزداد رقعة مملكتي.

أما الأميرة إيمان فعادت لتغيب معي في قبلة طويلة واحتسينا عصير تفاح ثم

سألتني: أخطأت ثانية؟ فقلت لها: نعم، لهذا جئتك، فقالت مبتسمة: وبالطبع دبدبت برجلك غاضبًا لأنك لم تحصل على ما تريد. فقلت خجلًا: نعم.. لكني كففت عن ذلك.. أنا الآن أفضل يا مس إيمان.

أعلنت الأميرة إيمان ملكة بجواري على عرش أحمد الفاتح وقالت لي: لا تحزن، ما زلت صغيرًا، وغدًا تحصل على كل ما فقدته، فأجبتها: دعينا فقط نشرب عصير التفاح فلم أرتوِ بعد.

الصياد الذي صار عازفًا

لا شيء في قسوة وجمال أن تعزف منفردًا، حتى لو كان من يستمع إليك هو «واحد».

كان العازف يقول دائمًا: «إن وردة كافية لمنح البهجة وإن فردًا قادر على إقامة حفلة».. لم يصدقه أحد وأجبرته الحياة على أن يتصرف عكس ما يؤمن به فتصرف دائمًا بخبرة من لدغته حية وضربه حذاء مما جعله أنانيًّا جدًّا في عزفه لهذا «الواحد» رغم أن الصورة كانت تقول إنه يعزف له ولكنه في الواقع كان يعزف لنفسه. كان هذا «الواحد» يدرك أن العزف ليس له حتى مل فجمع أشياءه ورحل.

بدأت حكاية العازف والمستمع «الواحد» عندما كان ذلك العازف يعمل صيادًا.

كان يخرج يوميًّا إلى بحيرة المحبة ليرمي شبكته المثقوبة. في المرة الأولى خرج له حذاء لكنه ظنه حجر زمرد، إلا أن حجر الزمرد ظل يضربه كحذاء حتى أدرك حقيقة أن حجر الزمرد ما هو إلا حذاء فذهب به إلى بحيرة النسيان ورماه.

ثم عاد ورمى شبكته المثقوبة في بحيرة المحبة، فخرجت له حية ظنها سمكة ذهبية ففرح بها لكن السمكة ظلت تعامله كحية وكان يصحو يوميًّا على لدغات عديدة ثم إن السمكة لم ترض قطُّ بما قدمه لها من طعام، فقد كان طعام سمكة بينما هي حية حتى عرف أن ما في يده هو حية فذهب ورمى بها في بحيرة النسيان.

في المرة الثالثة ذهب الصياد إلى بحيرة المحبة ورمى شبكته المثقوبة فأخرج جوهرة، لكن خبرة من لدغته الحية وضربه الحذاء جعلته مترددًا في الإقرار بكونها جوهرة أم حجرًا عاديًّا فرماها في البحيرة ثم رمى شبكته المثقوبة فخرجت له نفس الجوهرة لكنه ظل خائفًا ومترددًا فقذف بها مرة أخرى إلى البحيرة ورمى شبكته للمرة الثالثة فخرجت إليه الجوهرة فأخذها إلى بيته وخبأها عن أعين الجميع وكذلك أمه حتى يتأكد من أنها جوهرة.

وكان كل مساء يجلس بجوارها ويحكي لها عن المرات التي خدع فيها وعن الحذاء الذي ظل يضربه وهو يظنه حجرًا من الزمرد والحية التي لدغته وهو يظنها سمكة ذهبية لكنه ظل يعاملها بحذر من لدغته حية، وعنف من ضربه حذاء، وحيرة من يخاف أن يقسم إن ما بين يديه جوهرة حقيقية.

حاولت طمأنته قائلة: لدغت من الحية وضربت من الحذاء؛ لأنك لا تجيد الصيد بل العزف، سأعوضك عن اللدغة والضرب بشرط واحد أن تعزف لي كل يوم مقطوعة تحدثني بها عن حنانك. ظل الصياد يعزف لها كل يوم حتى تحول إلى عازف وهجر مهنة الصيد، لكن عزفه لم يكن يتحدث عن حنانه بقدر ما كان يتحدث عن خوفه من لدغة الحية وضربة الحذاء وحيرة من لم يتأكد أنه يملك بالفعل جوهرة.

حتى جاء يوم ولامته أمه على تركه مهنة الصيد وتحوله إلى عازف، لكن العازف قال لها واثقًا للمرة الأولى: فعلت ذلك من أجل تلك الجوهرة، فقالت له أمه: إنها حجر عادي.

استمر في عزفه لها لكن في كل مرة، كان عزفه يزداد سوءًا ثم أصبح ضوضاء ونشازًا حتى صمت آذان الجوهرة فأصبح كل ما يعزفه بلا معنى، حتى صحا ذات يوم فوجدها قد اختفت.

كالمجنون مضى يبحث عنها.

سأل الناس: ألم ير أحدكم جوهرة تمر من هنا؟! فقال له البعض: رأيناها تعود إلى بحيرة المحبة بينما قال له البعض الآخر: ذهبت إلى بحيرة المجروحين لتتعافى من صمم بأذنها.. بينما قال له البعض إنها ذهبت إلى بحيرة النسيان.

ظل العازف يذهب كل يوم إلى بحيرة من البحيرات الثلاث: بحيرة المحبة وبحيرة المجروحين وبحيرة النسيان ليعزف لها علها تعود واستمر الأمر على ذلك الحال أيامًا عديدة.

ظهرت له جنية وهو يعزف أمام بحيرة النسيان: لا أمل في العزف فقد صمت آذان الجوهرة من عزفك السيئ ولن تسمعك.. فقال العازف: لكن عزفي أصبح أفضل.. بالتأكيد ستسمعني.

فقالت له الجنية: ستسمعك لكن ليس الآن.. عزفك صار أحلى لكنك ما زلت تعزف لنفسك.. جرب أن تعزف لها حقًّا وسيزول عنها صمم أذنها.

جرب العازف لكن كان الأمر يزداد سوءًا حتى إن عزفه أصاب مدينة كاملة بالصمم.

ظهرت له الجنية وهو يعزف أمام بحيرة المجروحين قائلة: عليك ألا تخضع للحياة، وأن تتعامل معها بما وقر في قلبك «إن وردة قادرة على منح البهجة وإن فردًا واحدًا يكفي لإقامة حفلة».

مع الوقت تحسن عزفه، مع الوقت صار يعزف للجوهرة لا لنفسه، تذكر أمنياتها وأحلامها.. فقد كانت تتمنى بيتًا داخل شجرة تين صالح لإقامة الحفلات واحتساء القهوة الدافئة ويعزف لها فيه شخص لحنًا عن الحنان. «بيت داخل شجرة تين» كان كلما عزف ذلك اللحن ظهرت شجرة التين لكن الريح كانت تأتي وتزيلها.

تكرر الأمر عدة مرات بينما العازف يواصل العزف والحزن يحيله إلى وردة ذابلة، فعاد إلى بيته وقد شارف اليأس، لكن الجنية ظهرت له فاشتكى لها من أن شجرة التين لا تصمد أبدًا في وجه الريح.

فقالت له الجنية: «فقط لا تَبْدُ كبائس.. لن تعود الجوهرة إلى وردة ذابلة».

كف العازف عن الحزن ولم يعد يبدو بائسًا مهجورًا حتى استكانت الريح لأمره وصارت شجرة التين حقيقة لا تمحوها الريح، وطرد خوفه من لدغة الحية والحذاء من قلبه وصار يعزف ألحانًا جميلة، حتى إن الصمم زال عن المدينة. لكن الجوهرة لم تعُد.

وفي يوم ظهرت له الجنية عند بحيرة المحبة، كانت تلك المرة الأولى التي تظهر له فيها هناك فسألها عما ينقصه الآن كي تعود إليه «جوهرته».

فأجابته: عندما تكف عن مناداتها «بجوهرتك».. وأن تؤمن تمامًا بأنها ستعود إليك

حتمًا.. أما هي فلم ترغب قطُّ في أن تقاسم أحدًا بيتًا في شجرة تين سواك.

جان-دورلا

لم تعرف تلك البلدة الفاصوليا البيضاء قطُّ، بلدة تدعى «نجرة» كانت في الأصل سحابة بيضاء، لكنها هبطت إلى الأرض هربًا من آكل السحاب، فتخفت في الأرض على هيئة سفينة، لكن آكل السحاب اكتشف الأمر لأنها كانت تسبح في الهواء بدلًا من الأرض فتحولت إلى فأر ولكنه أيضًا أدركها فلا يوجد في الدنيا فأر من دخان أبيض.

لذا لم تجد السحابة حلًّا سوى التخفي على هيئة بلدة وأسمت نفسها «نجرة»، تعلمت السحابة أخلاق القرى بسرعة فصارت تزرع وتحصد وتحب وتكره ببساطة الشروق والغروب.

كانت «نجرة» تتدخل لحل النزاعات بين سكانها بطيبة سحابة وعدل بلدة هاربة من آكل السحاب.

لكن البلدة نسيت أثناء تعلمها أخلاق القرى شيئًا واحدًا وهو الفاصوليا البيضاء ولم تسمع عنها قطُّ.

وذات يوم ذهب فلاح من البلدة اسمه «أجعد» لبيع محصول القمح وشراء ما تحتاجه بلدة «نجرة» التي طلبت منه أن يشتري بالمحصول نافورة جديدة.

باع «أجعد» محصول القمح وعاد بالنافورة إلى البلدة وركبها وسط فرحة أهلها، كان شكلها جميلًا لكنهم فوجئوا بأنها لم تخرج ماء بل فاصوليا بيضاء؛ مما أغضب البلدة «نجرة».

حاولت البلدة إزالتها لكنها لم تنجح؛ كانت النافورة متشبثة بالأمل فهي المرة الأولى التي ينجح صاحبها في بيعها، فلم يكن أحد يرغب في نافورة تخرج فاصوليا بيضاء.

لم يفرح بها أحد من البلدة سوى «أجعد» رغم خجله في البداية من كون نافورته تخرج فاصوليا، فقد كان «أجعد» بلا أولاد أو زوجة أو أصدقاء، كان مقطوعًا من شجرة، شجرة اسمها ماندورلا، لكن الشجرة كانت في رأي البلدة «نجرة» مجرد سحابة غير جديرة بالبقاء في المدينة لذا أكلتها، لم تكن البلدة قاسية، لكنها ظلت دائمًا محتفظة برغبتها في أن تبقى بجمال سحابة بيضاء.. لم يعرف «أجعد» قطُّ أن نجرة هي من أكلت شجرته ماندورلا بعد أن قطعته منها وعنها.

مع الوقت أحب أهل البلدة الفاصوليا البيضاء التي تخرجها النافورة، بل أصبحت الفاصوليا هي حديثهم اليومي حتى إنهم فتنوا بها عن جمال بلدتهم «نجرة»، وأسموا النافورة «ماندورلا» على اسم الشجرة التي قطع منها «أجعد».

لكن «نجرة» غضبت أكثر وأكثر، فانتظرت ظلمة الليل وأتت بفأس وهدمت النافورة.

في الصباح، بكى أهل البلدة، أما «أجعد» فكان أكثرهم تأثرًا فجمع له أهل البلدة ما تبقى من الفاصوليا البيضاء.. ثلاث فاصوليات، وضعها «أجعد» في جيبه ومضى إلى بيته.

في الصباح وجد الفاصوليات الثلاث وقد أصبحت ثلاث بنات جميلات.. فرح بهن «أجعد» جدًّا فقد صار أبًا لأسرة من الفاصوليا.. أسمى الأولى «حمصة» والثانية «فلفلة» والثالثة «سمارة».

مرت الأيام و«أجعد» يخبئ جمالهن عن «نجرة»، حتى لا تغار منهن وتأكلهن، وكان يسليهن بحكايات عن أمهن.. ماندورلا.. كان يحكي لهن عن جمالها وحبها الشديد له وطيبة قلبها، حكايات من وحي خياله، لكن حمصة وفلفلة وسمارة كن دائمًا يرغبن في الخروج.

ذات يوم تسللت البنات الثلاث ليلًا أثناء نوم أجعد، ورأين لأول مرة «نجرة».

كانت «نجرة» تبكي ليلًا وتفتقد الأيام التي كانت فيها مجرد سحابة بيضاء ثم تحولت إلى بلدة خوفًا من آكل السحاب، فلما رأت البنات الثلاث كادت تغار من جمالهن وتأكلهن، لكن البنات الثلاث قلن: ما أجملك لكن ماذا لو وضعنا لعينيك كحلًا ومشطنا شعرك.

بالفعل مضت البنات الثلاث في تزيين «نجرة» التي استسلمت تمامًا لما تفعله البنات الثلاث.

في اليوم الثاني قال أهل البلدة لـ «نجرة»: لقد صرت أجمل بالكحل وشعرك أيضًا أصبح ألطف كثيرًا.

في الليل تسللت البنات الثلاث مرة أخرى إلى «نجرة» التي كانت تبكي أيضًا؛ لأنها كانت تتمنى أن تعود سحابة بيضاء وفكرت في أن تأكل البنات الثلاث إلا أنهن علمنها الغزل قائلات: كانت أمنا ماندورلا تحب الغزل.

لم يكن «أجعد» هو من علمهن ذلك، لكن الحكايات التي كان يحكيها جعلت النافورة ماندورلا تتحول إلى أم طيبة وجميلة وكانت تجيء مساء لتعلم البنات الثلاث أشياء وأشياء وتمضي بعد أن تقبل «أجعد» أثناء نومه؛ لأنه أعاد لها الحياة بحكاياته المتخيلة عنها.

سهرت البلدة «نجرة» في الغزل، صارت بارعة وغزلت قمصانًا وتنورات وجونلات جميلة للبلدة بأكملها ووزعتها عليهم في الصباح فقالوا لها: لقد أصبحتِ أجمل وأجمل.

وفي المساء تسللت البنات الثلاث حمصة وفلفلة وسمارة إليها مرة أخرى ووجدنها تستغيث؛ فقد عثر آكل السحاب على «نجرة»، وقرر أن يأكلها.. لكن البنات الثلاث ظللن يرقصن له ففتن بجمالهن وظل يرقص معهن منشغلًا عن «نجرة».

حتى تعب آكل السحاب ثم غط في النوم فربطته البنات الثلاث بالحبال في نخلة، ثم علمن «نجرة» الرقص.

في الصباح، صحا أهل البلدة على الرقص فقالوا لها: أنت أجمل بلدة في العالم.. وقذفوا آكل السحاب بحبات التين.

طلب آكل السحاب من «نجرة» أن تفك وثاقه ووعدها بألا يأكلها، ففعلت.

طلبت منه أن تعود سحابة بيضاء فرفض قائلًا: كنت دائمًا أجمل سحابة، لكنك

كنت تأكلين أي سحابة جميلة لأنك اعتقدت أن ذلك ما يجعلك أجمل. في المساء انتظرت «نجرة» البنات الثلاث وأعدت لهن أطباق المهلبية، لكن البنات لم يجئن لأن والدهن «أجعد» اكتشف الأمر وحبسهن خوفًا من أن تأكلهن «نجرة».

انتظرت «نجرة» البنات الثلاث ليالي عديدة، فلما لم يأتين تذكرت «نجرة» أين خبأت بقايا النافورة ماندورلا التي كانت تخرج فاصوليا بيضاء، لم تعد تخاف من أن يكون هناك نافورة جميلة.. سهرت «نجرة» ليالي وليالي لإصلاح النافورة حتى عادت بها إلى بهائها الأول.

فلما رآها «أجعد» فرح ولم يتمالك نفسه وأخبر «نجرة» أن البنات الثلاث هن بنات النافورة ماندورلا.. ثلاث حبات من الفاصوليا.. وطلب منها أن يأتي بهن لرؤية أمهن وتوسل إليها ألا تأكلهن لأنهن جميلات، فرحت «نجرة» وفرحت أكثر عندما قال أهل البلدة لها: لقد أصبحت أجمل وأجمل وأجمل.. فأنت أجمل مدينة في العالم وتملكين أجمل نافورة في العالمَ.

قبلت «نجرة» نافورتها ماندورلا وبناتها الثلاث وطلبت منهن أن يسامحنها وشكرتهن؛ لأن بفضلهن تعلمت وضع الكحل وتمشيط الشعر والغزل والرقص.

بعد عدة أيام حضر إليها آكل السحاب وقال لها: الآن اتسعت روحك لقبول سحابات جميلات، ثم أعادها سحابةً بيضاءَ كما كانت.

قبل أن تصعد إلى السماء وضعت على بيت «أجعد» ثلاثة صناديق ملونة. في الصباح وجدت البنات الثلاث الصناديق الملونة.

اختارت حمصة الصندوق الأزرق فلما فتحته وجدت تمثالًا على هيئة بحار، فلما قبلته تحول إلى بحار وسيم تزوجها وطاف بها العالم على مركبه.

أما فلفلة فاختارت الصندوق الأحمر فلما فتحته وجدت تمثالًا على هيئة بائع فطائر، فلما قبلته تحول إلى بائع فطائر جميل الطلعة وتزوجها وفتح دكانًا لبيع الفطائر والحلوى عشقها أهل البلدة، وأما سمارة فاختارت الصندوق الأبيض وكان شاعرًا فكتب في عينيها قصائد جعلت العالم مكانًا أجمل.

أما أهل المدينة فبعد صعود «نجرة» إلى هيئتها الأولى سحابة بيضاء، سموا المدينة على اسم النافورة «ماندورلا» والتي أصبحت أجمل بلدة في العالم.. أما السحابة البيضاء فكانت ترسل إليهم قبلات بدلًا من المطر كلما مرت عليهم.

الوقوع في غرام مصورة فوتوغرافيا

وقع فضل في غرام مصورة فوتوغرافيا، فانقلبت حياته رأسًا على عقب. كان لديه مرآة، كسرها مرة لما قالت له شعرك غير مهندم ولحيتك طويلة وحذاؤك غير مربوط؛ لذا لم تعد تخبره إلا بما يرضيه، فكان يخرج كل صباح من منزله وهو يظن نفسه جميلًا ولائقًا بما يكفي لمواجهة الحياة.. لكن الوقوع في غرام مصورة فوتوغرافيا جعل الأمر مختلفًا.

فمصورة الفوتوغرافيا لم ترغب قطُّ في التقاط أي صورة لفضل، اعتقد في البداية أن الأمر يتعلق بكونها مغرورة أو بتعلقها بصورة أخرى أجمل.

استطاع أن يحصل على صورة لها وهي تبتسم، بدت فيها كعنقود عنب لم يمس.

لكنها ذات يوم اختفت تمامًا.

ثم رآها كشبح خاطف داخل مرآته المشروخة، كانت تلتقط صورًا ثم اختفت من جديد.

قرر فضل أن يدخل إلى مرآته المشروخة ويبحث عنها.

وجد نفسه وسط أشجار متشابكة تدعى أشجار الألم، تتدلى منها فاكهة الذكريات التعيسة، بدت شهية وجذابة، لكن المرآة حذرته من الأكل منها، كي لا يبتعد عن غايته الأصلية بالوصول إلى عنقود العنب.

لم يستمع إلى تحذيرها وأكل من فاكهة الذكريات التعيسة، فانشقت الأرض عن فرقة تعزف لحنًا جميلًا عن الألم والذكريات التعيسة.. فقال لمرآته: ألم أقل لك إنني دائمًا على حق؟ لكن سرعان ما انقلبت تلك الفرقة إلى وحوش ترغب في أكل رباط حذائه المتدلى دومًا.

جرى مرعوبًا من تلك الوحوش، وتعثر عدة مرات في رباط حذائه الذي كان يزداد طولًا، ألهمته المرآة أن يستخدم الرباط لاصطياد الوحوش ففعل، ولم يتبق له سوى وحش بنفسجي اللون يستخدم الكمان كمدفع رشاش، لكن إضاءة من فلاش كاميرا أذابته تمامًا، عرف فضل أن مصورة الفوتوغرافيا في الجوار، لكنه لم يجد سوى صورة له وهو يربط حذاءه بدقة، تمنى لو أصبح مثل تلك الصورة.

وجد عرافة عجوزًا تهمس لودعها عن القدر الغائم للعشاق، فطلب منها أن تعلمه ربط الحذاء، لكنها أخبرته أن عليه أولًا أن يتعلم كيف ينصب خيمة في صحراء.

في الطريق إلى الصحراء وجد بستانًا فدخله، استلقى فضل في البستان ونام إلا أنه صحا على صوت معركة بين برغوث وفيل، كان البرغوث ينغز الفيل بعود ثقاب، وكان الفيل يتوجع جدًّا ويحاول أن يعثر على البرغوث بخرطومه دون جدوى.

حاول فضل التدخل لكن البرغوث قفز إلى ظهره، بينما تحرر الفيل وطار بأجنحة وردية إلى القمر، انتزع فضل نافورة مياه وظل يضرب بها البرغوث لكنه لم ينجح سوى في جرح نفسه أكثر وأكثر، ثم انتزع أشجار البستان واحدةً تلو الأخرى لضرب

البرغوث، لم ينجح حتى صار البستان صحراء، أخبرته المرآة المشروخة بالحل: تجاهله.

تجاهل فضل البرغوث، حتى مل وتركه في سلام.

وجد فضل خيمة وكان عليه أن ينصبها كي يتعلم كيف يربط حذاءه، طلب المساعدة من شجرة صبار، لكن الشجرة قالت له: انتصبت هنا وحدي.. لم يساعدني أحد سوى العطش.

انتظر فضل مرور العطش وكان رجلًا نحيفًا يناجي الله ويعشق الماء بلا أمل.. ظل فضل يضرب ضربات كثيرة حتى تعلم كيف ينصب خيمة في الليل رأى ضوء فلاش مارقًا في الصحراء، ظن أنه وجد مصورة الفوتوغرافيا، لكنه لم يجد سوى صورة له بحذاء مربوط بدقة وذقن حليق وشعر ممشط بعناية، وفي يديه مرآة جديدة.

ذهب ليبحث عن مرآة جديدة، في الطريق وجد مرآته المشروخة تتجمل لنفسها، كانت تعالج ذلك الشرخ الذي أحدثه، حاول فضل أن يساعدها، لكنها طلبت منه أن يتركها وحيدة. وأعطته صورة أخرى من مصورة الفوتوغرافيا، وجد نفسه وهو يحمل قمرًا بين شفتيه ويصعد إلى السماء ليثبته مكانه.

نظر فضل إلى السماء فلم يجد القمر في مكانه، ظل يبحث عنه، حتى وجد فيلًا ورديًّا مرهقًا؛ لأنه يحمل في خرطومه حكاية:

«بعد أن صعدت إلى القمر تبعني البرغوث مرة أخرى، تلك المرة ظل البرغوث يعبث بالقمر الذي ظل يتشاجر معه، ضربه مرة بالنجوم ومرة بوجه معشوقته، لكنه في النهاية لم ينجح في طرده، بل هوى إلى الأرض وخشي أن يراه أحد وهو يطارد برغوثًا، فتنكر على شكل بائع غزل بنات. وخبأ وجهه كي لا تأكله النساء».

رأى فضل القمر المختبئ على شكل بائع غزل بنات، عرفه من محاولاته المستميتة للتخلص من برغوث، توجه إليه ورفع اللثام عن وجهه، فطاردته النسوة، فحمله فضل بين شفتيه وطار إلى السماء ليثبت القمر في مكانه، أضاءت السماء بفلاش كاميرا فعرف أن مصورة الفوتوغرافيا في الجوار.

نصح فضل القمر بتجاهل البرغوث تمامًا فهي الوسيلة الوحيدة التي تجعله يمل ويهاجر جسده. نفذ القمر وصية فضل، فمل البرغوث وقفز من القمر فوقع في متاهة النجوم ولم يخرج منها قطُّ.

لم يعثر فضل على مصورة الفوتوغرافيا، بل وجد صورة جديدة له، كان يمسك فيها مرآته المشروخة التي لم تعد كذلك ويقبلها بحب، فذهب فضل إلى مرآته التي سمحت له أخيرًا بأن يداوي شرخها، ففعل حتى عادت المرآة جديدة كعنقود عنب لم يمس.

وظل فلاش الكاميرا يضيء بلا انقطاع على كل الصور التي تركها فضل كلما خطا على الأرض.

التـعلـب فـــات

الناس لا يحبون بطة سوداء في شارعنا.. وبطة عرجاء في شارع يجاور شارعنا.

أما الثعلب فظل يحوم.. يأكل ما يأكل ويترك ما يترك.. إلا بطة سوداء في شارعنا وبطة عرجاء في شارع يجاور شارعنا لا يأكلهما ولا يتركهما.. بل لا يقربهما أصلًا.. فالسواد في شارعنا نبذ.. والعرج في شارع يجاور شارعنا مهين لمن يطارده.

كان الثعلب يحمل همًّا؛ فقد كان في ذيله عقدة لفها صياد.. عقدة عقدت سبع مرات فصارت سبع عقد.. لكل عقدة سر مهيب.. إذا انفرطت إحداها كحبة.. تبعتها الحبات الست الباقية وانفرج هم الثعلب.. لكن الناس لا يحبون بطة سوداء في شارعنا.. وبطة عرجاء في شارع يجاور شارعنا.. كما أن لا أحد يحب ثعلبًا يحوم.

الليلة.. سينفذ «حسين أبو راسين» قسمه.. وسينتقم شر انتقام ممن أطلق عليه هذا اللقب «أبو راسين».. و «حسين» لم يملك قطُّ رأسين ولكنها الحيلة التي اكتشفها الولد «أمير الحمير».. أن الأسماء تتحول مع الوقت إلى صفة.. ثم تتخذ تلك الصفة هيئة الشخص.. فصار لحسين نتوءٌ يكبر مع الوقت في رقبته.. كلما ناداه أحد بلقبه «أبو راسين» كبر النتوء فعلًا.. حتى صار لحسين رأسان.

جمع حسين «أبو راسين» أتباعه أمام ناصية بائعة الذرة.. ثم اشترى كوزًا .. فتبعه أتباعه بشراء أكواز من الذرة مصمصوها عن آخرها.. ثم خبأ كل منهم الكوز الممصوص في جرابه.. ثم مضوا وكل منهم يحمل سلاحه؛ كوز ذرة ممصوصًا..

كان أمير الحمير قد انتهى من الفوز بكل البلي الذي يحمله عيال الشارع.. كان أشطر من يلعب البلي حاذقًا بأمره عالمًا بأسراره.. وأجدع من يقيس بنظره المقاس بقسطاس لا يخيب..

لكن تلك الليلة لن تفوت على خير.. هذا ما قاله طير في السماء لما رأى «حسين أبو راسين» يتحدى «أمير الحمير» في مبارزة علنية.. لكن «أمير الحمير» ولد ذكي ويقيس بنظره المقاس بقسطاس لا يخيب.. فتعلل بأن الليل أزف وأن أباه قد ا ستعوقه الليلة.. وقبل أن يلوك «حسين أبو راسين» ما قاله الولد «أمير الحمير» ليفهمه.. كان «أمير الحمير» كفص ملح وذاب.. وهكذا فاتت تلك الليلة على خير.. فتحسر طير في السماء على الليلة التي ستصير مملة.. وانتظر ليرى ما سيكون منهما في اليوم التالي..

وكانت «ست الحسن» تفلت من الحواديت الكثيرة التي اقتسمتها مع الحطاب والشاطر حسن لتنزل إلى شارعنا.. كانت قد نزلت مرة على هيئة ملاك ثم زهرة برية ثم استوت في مقامها الأخير على هيئة صبية تدعى فاطمة لها ضفيرة طويلة من سبع عقد، تمامًا كالعقد التي لفها الصياد في ذيل الثعلب.. وكانت وحدها تحب بطة سوداء في شارعنا وبطة عرجاء في شارع يجاور شارعنا.. وتطعمهما بيديها من حبات الذرة ولقم الخبز الملفوف.. أما الثعلب فظل يحوم.. يرى ضفيرتها المعقودة التي تشبه ذيله.. فيعرف همه الذي لم ينفرج.. ورأى أن فيها إشارته التي انتظرها

سنين طوالًا.. الإشارة التي ستفرج همه وعقده السبع التي إن انفرطت إحداها كحبة.. تبعتها الحبات الست الباقية.

وكانت «فاطمة» تجمع بنات الحي وتلعب معهن لعبة الغراب النوحي.. وكان «حسين أبو راسين» يقف متخفيًا يراقب ست الحسن فاطمة.. التي أقسم برأس أمه إنها لم تكن هناك قبل أن ترويها أمه له صغيرًا.. وقبل أن يروي الحكاية بدوره على عيال الحي.. كان «حسين» يباغتها كثيرًا بقوله: أنت خيالي.. أنا من نسجتك.. كنت حكاية ضائعة على فم أمي.. فصليت لله ليلة عيد.. أَن تصيري مثلنا طفلة تلعب.. فسقيت وردة كادت تذبل.. وما إن تفتحت حتى صارت أنتِ..

لكن ست الحسن «فاطمة» كانت تسخر من أقواله وتعتبرها خرافة وكانت تعايره بأنه يملك رأسين.. وكانت تفضل عليه الولد «أمير الحمير» لعقصة في شعر رأسه وقدرة على جمع البلي من عيال الشارع..

لكن «أمير الحمير» كان مشغولًا عنها ببلية كبيرة تحمل ألوانًا عجيبة.. البلية الوحيدة التي قهرته وقهره صاحبها.. كان صاحبها ولدًا أسود يحمل ساقًا عرجاء .. ولدًا لا من شارعنا ولا من شارع يجاور شارعنا.. لا أحد يعرف من أين يجيء.. يأتي الولد ببلي كثير وعجيب يفوز به الولد «أمير الحمير».. فلا يتبقى بجعبة الأعرج غير تلك البلية العجيبة.. لم يكن يقذفها بل كان يتركها على الأرض. فتتحرك وحدها لتفوز بكل البلي الذي جمعه «أمير الحمير» طيلة شهر .. كان موعد الولد الأسود ثابتًا لا يتبدل.. لا يأتي إلا عند ارتفاع القمر بدرًا.. في كل مرة كان «أمير الحمير» ينتظره حالمًا بأن يفوز بتلك البلية العجيبة.

عرف الثعلب أن «حسين أبو راسين» يحوم حول ست الحسن فاطمة.. عرف أن ما يجمعهما هو ضفيرتها المعقودة بسبع عقد.. يحلم «حسين أبو راسين» أن يفك تلك العقد..

كان الثعلب هو الآخر ساقطًا من إحدى الحكايات.. حكاية لم تكتمل قطُّ ولم تفك عقده السبع التي ربطها صياد في ذيله؛ لذا وحده كان يصدق ما يقوله «حسين أبو راسين» عن خرافة اختراعه لفاطمة.. الخرافة التي لم يثبتها كون فاطمة بلا أب أو أم.. وأن من يرعاها.. عانستان تقتاتان على ترقيع أحذية الناس.

قال الثعلب لحسين أبو راسين: هكذا تبدأ الحكايات.. خيوط ملقاة بما نظنه رعونة وطيشًا.. ثم يأتي من يغزل منها ما نظنه حكمة.. لم تبدأ الحكاية بعد.. دعنا نغزل ما يعطيك ست الحسن فاطمة.. تفك ضفائرها المعقودة سبع عقد.. وأفك أنا عقدي السبع فيزول همِّي.

هكذا بدأت الحكاية فعلًا.. هرج في شارعنا ومرج وحكايات عن ثعلب يحوم.. أعقبها أفخاخ عديدة لاصطياده.. اتصل الأهالي بالبلدية.. جاءوا وقتلوا كلاب الشارع في مذبحة مهيبة، لكنهم لم يجدوا قطُّ ثعلبًا يحوم.. لم يتجلَّ الثعلب لأحد سوى لعيال الشارع.. هم فقط من رووا الحكايات عن الثعلب.. أما الكبار فلم يشاهدوه.. لكنهم اضطروا إلى التصديق لما زاد عدد الفراخ المخطوفة وحبات العنب المفروطة.

فخرجت العجائز برواية قديمة عن عنب قال عليه الثعلب إنه حصرم.. التقط

«حسين أبو راسين» طرف الحكاية وصاغها من جديد على عيال الشارع فقال: كان أمير يسكن في قصر عال.. فرأى بنتًا تنزل دموعها قطرات تغسل الحصرم فيصير عنبًا.. نزل الأمير فذاق.. فقال: ما أطيبه.. وأحب البنت التي يراها كل يوم من قصره العالي.. كانت البنت تختفي بنزول الأمير.. قرر ألا يصعد إلى قصره العالي.. وأن يبيت في الأرض حتى تظهر البنت.. لكنها لم تظهر قطُّ.. فعاد العنب حصرمًا..

قطع سريان الحكاية موكب «أمير الحمير» كان قد جمع أتباعه وسلحهم بأكواز الذرة الممصوصة.. ثم دارت بينهم وبين أتباع «حسين أبو راسين» معركة طاحنة.. جرى أتباع «حسين أبو راسين» وتفرقوا تتبعهم سخرية «أمير الحمير» ورفاقه..

«أخذني غدرًا».. هذا ما قاله حسين أبو راسين لست الحسن فاطمة التي صارت تشبعه سخرية كلما رأته يحوم..

قال «حسين أبو راسين»: من أين لك هذا؟ تتلطفين ببطة سوداء وبطة عرجاء.. ولا ترحميننني.. وأنا كل ما أبتغيه نظرة رضَا..

لكن ست الحسن فاطمة ركبت رأسها وتباهت عليه بحسنها وبقدرة جديدة صارت لها.. فقد كانت فاطمة تجمع بنات الحي لتلعب معهن لعبة الغراب النوحي.. ولكنها صارت تجمعهن وتجعلهن يجمعن حصى وزلطًا.. ثم تبكي لتبل بدموعها الحصى والزلط.. ثم تقول لهن: ذُقن العنب.. فاستطابوا ما ذاقوا.. وصار عيال الشارع يحبون تلك اللعبة.. يجمعون ما أوتوا من حصى وزلط يأتون به إلى ست الحسن فاطمة فتبكي وتبله بدموعها.. فيتذوقون ويقولون: ما أطيب العنب!

انتشرت اللعبة كالنار في الهشيم.. فجاءها العيال من الشوارع الأخرى.. تبكي حصاهم وتبل زلطهم بدموعها.. فيتذوقون قائلين: ما أطيب العنب!

رأى الثعلب أن ذلك حسن.. تلك أول عقده التي انفرطت.. يصير الحصرم عنبًا إذا ما رأيناه كذلك.. غمر الثعلب ما يشبه الفرح.. صار الشارع أجمل.

قال الثعلب لأمير الحمير: أنت الآن سيد الشارع.. لكن تقهرك بلية عجيبة.. لصاحبها سواد في الوجه.. والسواد نبز.. وعرج في الساق.. والعرج مهين لمن يطارده.. فاذكر وتذكر.. من يقنع بالقشرة لا يحصل على الذهب.

صار «أمير الحمير» هو سيد الشارع.. أقام عرشًا من كرسي خشبي مكسور ووضعه فوق عربة نصف نقل مهجورة.. فلما جاءه «إسلام البلجيكي» بفكرة التاج والصولجان.. وهبه من خزانته ثلاث بليات جميلة وصار ساعده الأيسر ينوب عنه في مهامه.. كان التاج من خوص والصولجان من قش.. قالت له ست الحسن فاطمة: يحتاج الملك إلى ملكة.. فرفعها بجواره على العربة المهجورة.. فقط لاستكمال الهيبة.. لكنه لم يلتفت إليها قطُّ.. كان مشغولًا عنها بجمع الضرائب التي فرضها على عيال الشارع.. بلية من كل رأس يعبر الشارع وحده.. وبليتان من كل رأس تعبر به أمه الشارع.. وثلاث بليات من أتباع حسين أبو راسين.. أما حسين أبو راسين فقد فرض عليه ست بليات؛ لأنه يملك رأسين..

بدا «حسين أبو راسين» مستسلمًا، يقدم فروض الولاء والطاعة للملك والملكة.. يأتي طوافًا مع عيال الشارع جامعًا ست بليات وحصى وزلطًا لست الحسن فاطمة

لتبله بدموعها فيقول: ما أطيب العنب!

لكن أفضل ما حدث لحسين أبو راسين أنه لم يعد يخجل من كونه برأسين بل صار يحب هذا اللقب.. فقد أصبح ذلك في عينيه ميزة لا يملكها أمير الحمير ولو حكم ولا ست الحسن فاطمة على حسنها.. فكان يقول: لي رأسان.. أحدهما يبكي والآخر يحكي.. فتمسح الحكاءة دموع البكاءة.. فيصير الشارع أجمل.

دعاه أمير الحمير ذات نهار أصابه فيه الملل أن يحكي له ما ينفض عنه الملل.. فحكى «حسين أبو راسين»:

أما الأمير الذي نزل من قصره العالي ليرى البنت التي تحيل الحصرم عنبًا بدموعها فوجد لها أثرًا عجيبًا.. كان يبدو كخطوة تحجل.. فترك قصره العالي وتبع الأثر بلادًا فوق بلاد.. أما قصره العالي الذي صار مهجورًا فقد قفز عليه وزيره وصار هو حاكم المدينة.. لكن الأمير لم يعبأ بملكه المفقود.. بل كان جل همه أن يعثر على فتاته وبعدها يستعيد عرشه.. فوصل به الأثر إلى بحيرة عجيبة وقف عندها صياد له شبكة كلما قفز بها إلى البحيرة خرجت بأسماك كثيرة ملونة يفتحها فيجد في جوف كل منها لؤلؤة.. ينظر إلى تلك اللآلئ طويلًا ثم يقذف بها إلى البحيرة من جديد غير عابئ.. فلما سأله الأمير عن ذلك مستعجبًا ومستنكرًا..

أجابه الصياد: أبحث عن لؤلؤة أخرى.. لؤلؤة كبيرة وعجيبة تدعى أم اللآلئ.. فإذا احتفظت بما جمعت من اللآلئ لأصابني الاكتفاء بما جمعت ورضيت بتلك اللآلئ العادية؛ لذا أرميها جميعًا مرة أخرى في البحيرة.. حتى أظل على سعيي لاصطياد اللؤلؤة العجيبة.. أم اللآلئ . سأله الصياد عما أتى به.. فقص عليه الأمير حكايته وعن تركه بلاده وقصره العالي وراء بنت تحيل الحصرم عنبًا.

فقال له الصياد: أعرف حكايتها وطريقها.. أحكيها لك.. لعلي إذا ساعدتك في الوصول إلى مبتغاك.. أكرمني الله بالحصول على مبتغاي.. قطع سريان الحكاية هجوم مدبر من أتباع «حسين أبو راسين».. نفذه «زيكة بندق» ساعده الأيمن تمامًا كما دبر حسين أبو راسين.. فاختبأ مع جماعة الرماة فوق أسطح البيوت ورشقوا أتباع «أمير الحمير» بالنبل.. ثم اندفع الباقون كالسيل من مكامنهم خلف الزوايا.. اشتد الطعان بين الفريقين.. شاهد عربجي أسود بساق عرجاء المشهد فكربج حماره حتى وصل إلى عرش أمير الحمير فوق العربة المهجورة.. خطف ست الحسن فاطمة وهرب بها.

أما أمير الحمير فكان كفص ملح وذاب حاملًا معه من خزانة البلي ما خف حمله وازداد جمال ألوانه.. فلما اكتشف أتباعه هروبه.. تفرقوا وعاد كل منهم إلى داره.. بينما اعتلى «حسين أبو راسين» العرش المهجور.. ألبسوه التاج وأمسكوه الصولجان.. لكنَّ عينيه كانتا تبحثان عن ست الحسن فاطمة..

كان حزينًا رغم انتصاره وبهجة أصحابه الذين اشتروا أكياسًا كثيرة من عصير القصب.. شربوا منها ما شربوا وأسالوا منها على الأرض ما أسالوا كعلامة بهجة وانتصار.. لكن لما سمع الآباء فرقعة البمب نهروا أبناءهم الذين ظلوا حتى هذا الوقت يلعبون في الشارع.. فعاد كل منهم إلى داره.. بينما خرجت العانستان اللتان

ترعيان فاطمة من دارهما.. تسألان الناس عن فاطمة التي لم تعد إلى الدار..

أما حسين أبو راسين فظل وحيدًا فوق عرشه المهجور لا يعرف طعمًا لانتصاره.. غابت فاطمة عن الشارع.. وفي الليلة السابعة لغيابها قال «زيكة بندق» ساعد حسين أبو راسين الأيمن: أعرف أين هي؟ لقد صعد بها العربجي إلى فوق.. لقد شاهدته يصعد بها إلى قرص الشمس.. ضربه حسين أبو راسين على قفاه وأمره بألا يتحدث عن هذا الأمر من جديد.. فلو تحدث بهذا ثم تحدث به من تبعه لصار ذلك حقيقة.. فما من أحد سمع من قبل عن شخص صعد إلى قرص الشمس ثم عاد إلى شارعنا..

قال «حسين أبو راسين» للثعلب: أنت ماكر وقبيح.. تسرى الحكاية بما يسير لصالحك ويفك عقدك التي لا أعلمها واحدة تلو الأخرى.. ولا أصل إلى فاطمة.. فقد صعدت إلى قرص الشمس.. خطفها عربجي أسود له ساق عرجاء..

ابتسم الثعلب في مكر.

بكى على ست الحسن فاطمة البطة السوداء التي في شارعنا والبطة العرجاء التي جاءت من شارع يجاور شارعنا.. جرت العانس العرجاء البطة السوداء وجرت العانس السوداء البطة العرجاء ورعتاهما في بيتهما وألقمتاهما من حبات العنب ولقم الخبز الملفوف من أجل خاطر فاطمة.. مر على ذلك ليال طوال.. فبكى الكل على فاطمة.. فصاروا يأتون بالأحذية – السليم منها والمعطوبً – لترقعها لهم العانستان ومعهم طعام كثير للبطة السوداء وصاحبتها العرجاء.

فاغتنت العانستان وسمنت البطتان.. بل صارتا تلقيان من الحنان والاهتمام ما جعلهما تنسيان وتسامحان الوقت الذي كانتا فيه منبوذات ومهملات..

خرج أمير الحمير من داره.. أمضى أول ثلاثة أيام يفكر في الانتقام.. لكن سرعان ما غلبه شوقه إلى تلك البلية العجيبة فأجل أمر الانتقام وظل يعصر خياله بحثًا عن حيلة تضمن له الحصول على مبتغاه. رأى العيال في الشارع يجمعون حصى وزلطًا كثيرًا.. كانوا ينتظرون عودة ست الحسن فاطمة لتبله بدموعها فيأكلوا العنب.. ضحك من سذاجتهم وسذاجة حسين أبو راسين الذي نقل عرشه من فوق العربة المهجورة ونصبه فوق كومة زلط وجلس يكمل حكايته العجيبة:

قال الصياد للأمير: أما حكاية البنت يا سيدي فهي حكاية عجيبة.. فلا أحد يعرف من أين جاءت.. يقولون إن أصلها قرص الشمس.. ابنة القمر.. أول خصلة سقطت من شعرها عرفت بها الأرض الحرير.. وأول نقطة من عرق انفلتت من جسمها صنعت المسك.. ومن دموعها صار الحصرم عنبًا.

فسأله الأمير: ولمَ بكاؤها؟

قال الصياد: لضفيرتها المعقودة بسبع عقد.. لم يقدر على حلها إنسي أو جني.. عقد شعرها غراب ينوح.. كان يأتي إلى الأرض ليخطف البنات من أمهاتهن.. كانت وحدها تفك أسرهن من يديه.. فغافلها وعقد شعرها المحلول بسبع عقد لم يقدر على فكها إنسي أو جني ..

فسأله الأمير: ولمَ ينوح الغراب؟

فقال الصياد: لأنه منبوذ.. لسواد في ريشه وعرج في ساقه يجعله يحجل فرأت البنت أن الحنان لا يجعله ينوح ولا يجعله يخطف البنات من أمهاتهن.. فصارت ترعى سواده وعرجه.. حتى إنه أتى لها ببنت سوداء وأخرى عرجاء لترعاهما.. كانتا يتيمتين.

وظل يصعد بها مرة كل عام على جناحه إلى قرص الشمس لتبصر ما لا نبصر ولتدرك ما لا ندرك..

فسأله الأمير: وضفائرها المعقودة؟

فأجابه الصياد: لم يحلها قطُّ.. كان يقول لها: العقد كان بيدي.. والحل لصاحب الوعد.

قطع سريان الحكاية خبر انتشر في شارعنا.. أن العانستين أتاهما تاجر كبير يبيع الفلفل المطحون.. قال لهما: رأيت في منامي أني أتزوج إحداكما وأزوج الأخرى لأخي.. وأن في ذلك سعدي ووعد أخي.. لكنه لما رأى البطة السوداء تعرج في دارهما.. تشاءم.. فقال لهما: ذاك نذير شؤم.. فقالت العانستان: نذبحهما.. فلا تصيران شؤمًا.. كما أنهما سمنتا وسيكون لحمهما طيبًا..

فلما سمع العيال في الشارع هذا الخبر اغتموا.. وقالوا: البطة السوداء وصاحبتها العرجاء هما فرحة فاطمة.

قال «أمير الحمير» الذي كان جالسًا بينهم يستمع إلى الحكاية:

لكن فاطمة لن تعود.

لكن فاطمة عادت.. قال لها الثعلب: الآن أبصرتِ ما لا يبصرون وسمعتِ ما لا يسمعون.. فلا تحلي ضفائرك إلا لمن أدرك ما تبصرين وأبصر ما تدركين.

ذهبت ست الحسن فاطمة إلى أمير الحمير.. سألها: أين كنتِ؟ فأجابت: عند قرص الشمس.

فضحك ساخرًا: تمامًا كحكاية الزلط الذي يصير عنبًا.. الزلط لا يصير عنبًا يا فاطمة.. ولا أحد يصعد إلى قرص الشمس.

كان «أمير الحمير» قد أعد عدته وحشد أتباعه من جديد.. وقف «حسين أبو راسين» هو الآخر على رأس حشد مهيب.. قال طير في السماء: اليوم يوم فرجة.. فنادى رفاقه في السماء ليتفرجوا على ما سيصير بعث حسين أبو راسين بالولد «زيكة بندق» ساعده الأيمن ليتبارز مع «إسلام البلجيكي» ساعد أمير الحمير الأيسر في لعبة المعصم.. ساعتان من النهار ولم يستطع أحدهما التغلب على ساعد الآخر..

فتقدم أمير الحمير من «حسين أبو راسين» وقال له: فلنجعل الأمر بيني وبينك.. والفائز منا ينتصر جيشه.. وافق حسين أبو راسين وكان من عادة شارعنا أن مبارزة القادة لا تكون بالكفوف، بل بحبل يشد كل منهما طرفه بين فكيه.. يقف كل منهما في منتصف دائرة.. من يجر منافسه إلى دائرته يفز..

انتصب الحشد ووقفوا مع الطيور في السماء تتفرج.. أوصل حسين أبو راسين

أمير الحمير إلى خط دائرته وكاد يفوز.. لكن أمير الحمير استجمع قواه وعاد من جديد إلى منتصف الدائرة.. ثم صار قريبًا أن يخرج حسين أبو راسين من دائرته.

فكر «حسين أبو راسين» في ست الحسن فاطمة التي إن خسر فستعايره بهزيمته.. لم يشد ذلك من بأسه.. بل أوهن من عزمه.. فكاد طرف الحبل يفلت من فكه.. بل انفلت بالفعل.. لكن في اللحظة ذاتها قرصت أمير الحمير نملة فصرخ متأوهًا.. فانفلت الحبل من فكيهما في نفس الوقت. قطع سريان الحكاية صوت بكاء فاطمة في دار العانستين. فسار الجمع إلى هناك ليعرفوا ما حدث.

كانت الزينات مضاءة في دار العانستين فتلك كانت ليلة زواجهما من التاجر وأخيه.. علموا أن العانستين ستذبحان البطة السوداء والبطة العرجاء حتى لا تصيرا شؤمًا.. يكدر صفو الزوجين..

كانت فاطمة تستجدي وتنوح.. لكنَّ العانستين لم تأبها بدموعها.. كان الإناء يغلي ويفور.. لولا حدوث ما عجب له الشارع..

فيما بعد قالت العانستان في ذعر وهما تتذكران ما حدث وتسنان السكاكين لذبح البطتين:

رأيته.. كأنه شهاب خاطف.. أتى وخطف البطة السوداء وصاحبتها العرجاء بين فكيه.. ثم مضى.. حكاية الثعلب حقيقية يا ناس.. في الشارع ثعلب يحوم.

في فرح العانستين.. فرح الناس وبلوا الشربات ورقص الكل وانبسطوا ونسوا حكاية الثعلب.. اقترب حسين أبو راسين من فاطمة ومعه كومة من زلط وحصى قائلًا:

اجعليه من أجلي عنبًا..

ابتسمت له ست الحسن فاطمة في حنان: أتريدني أن أبكي في ليلة فرح.. ضحكا وانطلقا يجريان.. قال لها:

احكي لي عما رأيته هناك.. عند قرص الشمس.

جاء الموعد الذي انتظره أمير الحمير.. موعد الولد الأسود الذي يحمل بلية عجيبة يحصل بها على كل البلي الذي يجمعه أمير الحمير طيلة شهر..

تكرر الأمر كما كان الحال في كل مرة.. فاز أمير الحمير ببلي الولد الأسود كله في البداية ولم يبق بجعبته سوى البلية العجيبة التي انطلقت لتحصد بلي أمير الحمير حصدًا.. فعلم أمير الحمير أن خسارته آتية لا محالة وأنه لا سبيل إلى البلية العجيبة.

لكن فجأة نبتت جملة في دماغه.. فنطق بها كغريق وجد قشة.. قال للولد الأسود:

أشتري منك البلية العجيبة بحكاية.. إذا أعجبتك تترك لي البلية.. فقال الولد الأسود: ولو لم تعجبني؟ فقال أمير الحمير: أكون عبدك أرقص لك رقصة العازب وأعجن لك كما تعجن الفلاحة..

فوافق الولد.

كان أمير الحمير لا يعرف ماذا يفعل.. هو لا يصدق الحكايات.. ولا يعرف كيف

يرويها.. ولكنه وجد لسانه يقول: كان هناك صياد.. يبحث عن لؤلؤة عجيبة، أم اللآلئ.. وكان يقذف من أجلها بكل اللآلئ التي جمعها إلى البحيرة.. حتى لا يقنع بها ويظل على سعيه إلى لؤلؤته العجيبة.. وذات يوم مر عليه أمير يبحث عن بنت تحيل الحصرم عنبًا ترك من أجلها قصره العالي الذي قفز عليه وزيره.. فحكى له الصياد حكايتها..

وبعد أن انتهى الصياد انشقت البحيرة عن جني أسود وغراب أعرج يلهوان بلؤلؤة عجيبة.. يتقاذفانها بضحك.. فلما رآها الصياد.. قال: تلك لؤلؤتي أم اللآلئ.. فسمعه الغراب فقال: تلك روح أمنا السوداء.. وقال الجني: نبذها الناس طويلًا؛ لسواد في بشرتها وعرج في ساقها.. لو يعلمون ما تبطن.. لقطعوا من أجلها المشاوير الطوال..

فقال الأمير الذي كان حاضرًا: هذا ديدن الحكايات يبحث الأمير عن ست الحسن ولا يبحث عن سوداء تعرج..

قال الصياد: اللؤلؤة.. باطن الحسن.. وسره..

فأعجب هذا الكلام الغراب والجني.. تركا له اللؤلؤة.. ثم قالا: سنعود هنا بعد ثلاثة أيام.. إذا صنتها فهي لك.. ولو لم تصنها نأخذ لسانك وشبكتك.

عند هذا الكلام توقف أمير الحمير عن الحكي.. ثم قال للولد الأسود: عندي حكاية أبهى.. حكاية في شارعنا عن سوداء تعرج.. حكاها «حسين أبوراسين» فصارت ست الحسن فاطمة.. بينما صار هو من جراء ذلك برأسين.. فقد أسميته كذلك لأني لم أر في فاطمة تلك رغم حكاياته غير سوداء تعرج..

مرت فاطمة مع «حسين أبو راسين».. رأس يبكي ورأس يحكي.. رآها تمسح بكفها فوق رأسه الباكي فتذوب بين يديها.. فصار «حسين» برأس واحد يحكي.

ثم قال للولد الأسود: توقفت الحكاية.. فاذهب ببليتك العجيبة بعيدًا..

فقال الولد الأسود: صف لي ست الحسن فاطمة.. فقال أمير الحمير: سوداء تعرج أو صاحبة حسن وجمال.. لا يهم.. لكن بداخل روحها لؤلؤة.. تدعى أم اللآلئ.. بها صار الزلط في شارعنا عنبًا.. وبها صارت ست الحسن.

فقال الولد الأسود: فصفني..

فقال «أمير الحمير»: أسود.. يملك ما لا أملكه.. شيء أتمنى لو كنت أملكه.

فقال الأسود: صدقت.. ثم أخذه من يديه قائلًا: اتبعني ..

اختفى «أمير الحمير» عن شارعنا.. قرابة شهر.. ناح فيها أبوه ونحلت أمه وذبلت.. قال «إسلام البلجيكي» ساعد «أمير الحمير» الأيسر: ذهب أميرنا إلى قرص الشمس.. بصحبة ولد أسود ..

اضطر «إسلام البلجيكي» أن يعقد معاهدة سلام مع «حسين أبو راسين» جعلت لأتباعه نصف الشارع ونصف ظل الشجرة العالية.. بينما أصر أتباع «أمير الحمير» أن يكتب اسمه على السور القديم الذي يحيط أرضًا فناءً تخليدًا لبطولاته العالية التي جلبت لهم السمعة الطيبة بين عيال الشوارع الأخرى.

لكن «أمير الحمير» أيضًا عاد من قرص الشمس.. تمامًا كما عادت فاطمة.. سأله

الثعلب: أحصلت على البلية العجيبة من الولد الأسود؟ فقال «أمير الحمير»: حصلت على ما هو أبهى.. فأخرج كومة بلي من جرابه.. بلي عادية جدًّا.. وشوشها أمير الحمير فصارت لها ألوانٌ عجيبة وزاهية وصارت تتحرك وحدها على الأرض.. تعرف مسارها ولا تخطئه..

فضحك الثعلب.. ثم هز ذيله المعقود بسبع عقد.. ثم قال لنفسه: الآن.

أما الصياد فقال للأمير: اذهب واحصل على فتاتك.. لكن احذر! فإذا ذهبت على هيئتك هذه فقد يعرفك أهل المدينة فيسلمونك إلى ملكها الغاشم الذي يسلمك بدوره إلى الوزير الذي اغتصب ملكك وقفز فوق قصرك العالي.. فقرأ عليه كلمات من كتاب سحر قديم فأحاله إلى ثعلب.. فنظر الأمير إلى نفسه في صفحة الماء فإذا هو ثعلب وبذيله معقود سبع عقد.. فسأله عن سبب ذلك.. فقال الصياد: تلك لعنة لا يفكها سوى أن تكمل حكايتك.. وتفك ضفائرها المعقودة بسبع عقد على يد غراب ينوح.. فتعود إلى أصل هيئتك.

فلما ذهب الثعلب الأمير إلى دار البنت.. قال لها افتحي.. فقالت البنت: أنا لا أفتح لثعلب! فقال لها: لكني أمير.. روحي التي تختبئ تحت فرو ثعلب.. أطلت البنت من فوق سطوح الدار وهددته بأن تلقي فوقه بإناء يغلي بالماء.. فلما نظر الثعلب إليها رآها كما حكى الصياد: أصلها من قرص الشمس.. ابنة القمر.. أول خصلة سقطت من شعرها.. عرفت بها الأرض الحرير.. وأول نقطة عرق انفلتت من جسمها صنعت المسك.. ومن دموعها صار الحصرم عنبًا..

رأى شعرها المعقود بسبع عقد.. ثم قال لها: أنا صاحب الوعد.. المنذور لفك ضفائرك التي لا يفكها إنسي أو جني.. فقط هي لصاحب الوعد..

فقالت: صاحب الوعد ليس ثعلبًا..

فقال مستجديًا: لكني أمير.. تلك روحي.

لكن البنت لم تفتح قطُّ.. بينما ظل الثعلب يحوم حول دارها.. سبع لفات كل يوم.. ينادي ولا تفتح.. وهكذا ظل ذيله معقودًا بسبع عقد.. وضفائرها معقودة بسبع عقد.. بينما فوق دارها.. كان هناك غرابٌ ينوح.

حكايـة البيـدق الأبيـض والفرسـة السمـراء

للمرة الأولى في الأعمار التي عاشها البيدق الأبيض، يقف حارسًا للملكة.

قبل بدء المعركة غمز البيدق الأبيض زميله قائلًا: أرأيت الفرسة السمراء؟ إنها تغازلني منذ 7 أعمار.

رد زميله ساخرًا: لكنك بيدق لا تجيد الحرب.

كان البيدق مشهورًا بالتهور، لم يكن يحسب خطوته الضيقة جيدًا؛ لذا كان دائمًا أول المطرودين من الرقعة، لكنه قرر تلك المرة أن يحيا طويلًا حتى يقابل الفرسة السمراء وأن يبلي بلاءً حسنًا يرقيه وزيرًا. وعلى الرغم من أنه لا يجيد المبارزة أو إطلاق السهام أو السحر، فإن قدرته على إلقاء القصائد والإمساك بالنكات التائهة، جعلت الملكة تحتفظ به في معاركها، كانت تراه ظريفًا.

أما الملكة السمراء فقد استعدت تلك المرة جيدًا؛ لأنها كانت الفرصة الأخيرة لها كملكة بعد استنفادها أعمارًا كثيرة؛ لذا أعدت خطة محكمة اعتمدت فيها على الفرسة السمراء.

كانت فرسة ذكية، لكنها كانت تفضل اللعب بالحصى على المبارزة؛ لذا كانت الملكة السمراء تعول عليها كثيرًا في معاركها السابقة بل كانت تعتمد على فرستها الأخرى التي كانت تطير أفضل، لكن تلك المرة كانت الخطة تعتمد على أجمل من يطير وليس أفضل من يطير، فقد كانت الفرسة السمراء تطير لترسم قوس قزح في الهواء؛ مما كان يوقع نصف البيادق في هواها، وتصيب برمشها البيادق الأخرى بالإضافة لمميزات أخرى كالقلعة التي تلين وتفتح أبوابها إذا ما تبسمت فقط.

استعد الطرفان جيدًا، وجاء بطريقان كبيران أحدهما أبيض للجيش الأسمر والآخر أسمر للجيش الأبيض وهمسا في أذني الملكتين: تووووووت.. فانزعجتا فبدأت الحرب.

كان على البيدق الأبيض أن يتحرك خطوتين إلى الأمام، لكنه تعثر في حجر فسخر منه الجيشان وسخرت منه الفرسة السمراء.

كاد فيل أسمر أن ينقض عليه، لكن الفيل شغلته فراشة في الهواء، فظل يطاردها حتى خرج من الرقعة.

أما البيدق الأبيض الذي كان يطمح إلى أن يبلي بلاءً حسنًا في المعركة ليتحول إلى وزير يليق بحبيبته فغرق في الخجل من تعثره السابق، لكن الملكة حمته بفرسة بيضاء.

هدده الوزير الأسمر وشقيق الفيل الأسمر الذي خرج من الرقعة سعيًا وراء فراشة.

كان التهديد أخطر من حماية الفرسة البيضاء للبيدق الذي لم يستشعر الخطر المحدق به لانشغاله بفرسته السمراء فاستمر يرسل لها القصائد والنكات على أجنحة الحمام بينما هو مهدد بالطرد من الرقعة.

قالت الملكة البيضاء لوزيرها إن الملكة السمراء حمقاء تمامًا بمطاردتها لبيدقها الأبيض فهو لا يدافع عن أرض مهمة، ولا تشغله سوى فرسة سمراء.

كاد الفيل الأسمر أن يشهر سلاحه ليجهز على البيدق المنهمك في إرسال القصائد والنكات على أجنحة الحمام، دافع الحمام بشدة عن البيدق وتكاثر حول الفيل الأسمر وظل ينقر عينيه ويطارده حتى خرج من الرقعة.

ابتسمت الملكة البيضاء لحظ البيدق وشجاعته فهو لم يخش التهديدات وظل مشغولًا بفرسته السمراء، كاد الجيش الأبيض أن يفوز وأن يقتحم القلعة اليمنى للملكة السمراء.

لكن الفرسة السمراء أجهزت على نصف بيادق الجيش الأبيض، عندما طارت لترسم قوس قزح في الهواء لكنها لم تصبه؛ لأنه لم ينشغل بالألوان فهو يحفظها عن ظهر قلب بل تقدم نحو طرف قوس قزح وظل يتزحلق عليه ذهابًا وإيابًا.

تعرت الملكة البيضاء تمامًا بعد القضاء على نصف بيادقها وكادت قلعتها أن تلين وتفتح أبوابها لهجوم أسمر، لكن رقص البيدق الأبيض فوق قوس قزح ألهب حماس البيادق الثلاثة المتبقين فأخرج أحدهم بيانولا فأداروها، لتعزف ألحانًا راقصة.

سرعان ما انتشرت حمى الرقص في الرقعة كلها، حتى إن الكثير من السهام التي أطلقها الجيشان توقفت أثناء انطلاقها في الهواء لترقص هي الأخرى.

لكن الملكة البيضاء التي استشعرت الخطر نتيجة انكشاف قلعتها، قرعت أجراس القلعة لكي تفيق السهام والبيادق الراقصة، بالفعل عادت المعركة للاشتعال بشكل أقسى.. فجأة وجد البيدق الأبيض في يده سيفًا ووجد نفسه مباشرة أمام الفرسة السمراء في معركة.

انسحب من الرقعة، لم يكن يريدها معركة، أحب فقط أن تتبقى لها القصائد والنكات.

جلس خارج الرقعة ليلقي قصائده ونكاته، للخارجين من الرقعة، وبعد خروج البيادق الثلاثة انضمت معهم البيانولا.

أعدت الملكة السمراء عدة حيل وأجبرت الملكة البيضاء على مبارزتها، كانت مواجهة شديدة العنف، استغرقت نصف الساعة، حتى وقعت الاثنتان من الإعياء فخرجتا من الرقعة دون أن تفوز إحداهما، فانضمتا لحفلة البيدق الأبيض الراقصة.

توج الجيش الأسمر الفرسة السمراء ملكة متوجة، بينما أعلن الوزير الأبيض نفسه ملكًا دون استشارة أحد.

أبدت الفرسة السمراء شجاعة وحكمة، فحصنت قلعتها من جديد، ونثرت حصى في الطريق، وادعت أنها مشغولة باللعب بالحصى بينما هي تخطط لهجمة شرسة في قلب قلعة الوزير، كان هجومها كاسحًا.

هزم الوزير الأبيض وأعلن انتصار الجيش الأسمر للمرة الأولى منذ أعمار عديدة.

انضم الوزير الأبيض للحفلة الصاخبة وكان البيدق الأبيض قد صنع حديقة ونافورة حتى إن الملكة قامت بترقيته وزيرًا.

أما الفرسة السمراء فواصلت انتصاراتها في معارك أخرى مع جيوش أخرى، وكانت تنظر إلى البيدق الأبيض من آنٍ لآخر متعجبةً من قدرته على جعل المكان خارج الرقعة مليئًا بالبهجة والحياة.

استعـادة مفتـاح العالـم

حصل أحمد الفاتح على مدينة «الهررة» ومدينة الفيل الأزرق وبساط الريح من الأمير ممدوح ومدرسته إيمان وبرتقالة أثناء رحلته في اكتشاف العالم المفقود، صنع عرشًا من الخيزران، وجلس عليه يفكر في توسيع رقعة مملكته.. مملكة من عصير التفاح.

لكن في حصة الدراسات لم يستطع أحمد أن يجيب عن أسئلة مس إيمان الصعبة بإجابات مدهشة كعادته، دهشة تجعل إجاباته دائمًا صحيحة حتى لو لم تكن الإجابة التي كانت تنتظرها.

لذا عاقبته مس إيمان وأخذت منه مفتاح العالم المفقود المختبئ في سجادة بيته ورحلت إلى مدرسة أخرى بعيدة.

فقد أحمد مدينة الهررة ومدينة الفيل الأزرق وبساط الريح في رهان ساذج.

قال أحمد لزميله: سأراهنك على المملكة أن الحب سيجعلها تعيد إليَّ المفتاح، لكن مس إيمان لم تعد إليه مفتاحه فحصل زميله على مملكة أحمد، ولم يتبق معه سوى برتقالة.

تركت له مس إيمان رسالة: استعده بنفسك.

حاول أحمد أن يستنهض قبيلة تالتة رابع للدفاع عن حقه في مفتاح العالم عالمًا مفقودًا، لكن القبيلة كانت مشغولة بمعارك أخرى مع قبيلة رابعة أول على الصورة الذهبية في ألبوم سلاحف النينجا.

أدرك وقتها أن معركة استعادة العالم المفقود هي معركته، ولا يحتاج فيها إلا لقدميه بعد أن فقد عكاز مس إيمان.

حاول أن يصادق مدرسة الدراسات الجديدة، لكنها لم تكن تؤمن بأن هناك عالمًا مفقودًا.. وأعطته مفتاحًا مزيفًا لعالم مزيف مليء بالزواحف التي نصبته أميرًا على حديقة من الأشواك.

فأدرك أن لا شيء يماثل عالمه المفقود وقال: «تلك معركتي.. ولا أحتاج إلا إلى قدمي».

لكن أحمد الفاتح لم يجد قدميه، فانتزع لنفسه عكازين، جرب أن يطير بهما لكن الأمر لم يفلح.

وجد أحمد نفسه في عالمه المفقود كغريب لا كأمير حتى إن صديقه الفيل الأزرق لم يعرفه.

شاهد ملاكًا فطلب منه المساعدة، فقال له الملاك: الملائكة تهبط فقط لإنقاذ الإجابات المدهشة.. وأنت فقدت تلك القدرة.

أخرج أحمد كتاب الجغرافيا؛ ليعيد اكتشاف العالم، فوجد خريطة روحه وعليها بقعة بن طمست الخريطة بأكملها إلا نقطة وحيدة بيضاء عرف أنها سبيله لاستعادة

عالمه المفقود، لكنه وجد نفسه داخل نفق مظلم، في نهايته نقطة بعيدة بيضاء.

كان النفق مخيفًا وخاويًا من الأحبة وقبيلة تالتة رابع وسلاحف النينجا ومس إيمان.

ظل أحمد يحفر ويحفر حتى استطاع الخروج من النفق، عرف ذلك من تسرب ياسمين النهار إلى روحه؛ الياسمين الذي أعاد إليه قدميه لكنه خرج بظهر محنيّ. لكن أجنحة الحمام بعثت له رسالة من مس إيمان: اصلب ظهرك.. تستعد العالمً وإن فقدته افقده وأنت على قدميك.

رفع أحمد رأسه ثم صلب ظهره ووقف من جديد على قدميه، لم يكن الأمر سهلًا احتاج منه الكثير من الألم والخسارات.

تعلم المبارزة والحب من جديد. وعرف أن مهمته الأولى هي اكتشاف بئر الحنان.

تتبع أحمد خريطة روحه، كان يرسمها من جديد مع كل خطوة يخطوها. كان بئر الحنان في يد ساعاتي يأكل الأظافر ويملك ساعات كثيرة تمتلئ بالعقارب وتطيح بالرقاب دون رحمة.

كان الساعاتي يجلس في المساء ليعد قروشه وعدد الرقاب التي حصل عليها ليبيعها في الصباح في سوق الرقاب المقطوعة.

سلم أحمد رقبته إلى الساعاتي الذي فرح برقبة جديدة يبيعها، لكن رقبة أحمد كانت مختلفة؛ فقد كانت تنطق دومًا على الأسئلة العابرة بإجابات مدهشة؛ لذا أحبها الساعاتي ولم يبعها في سوق الرقاب وعلم أحمد صناعة الساعات التي استوعب أحمد أسرارها جيدًا.

أحبه الساعاتي وأوصى له بمحله وجيش الساعات وبئر الحنان بعد أن توقفت ساعته الخاصة فرحل إلى السماء.

أعاد أحمد تشغيل بئر الحنان الذي كان قد قارب على الجفاف، حدث ذلك عندما أرسلت له مس إيمان ورقة بيضاء مع أجنحة الحمام.. لم تكن الورقة تحوي أي شيء لكن أحمد عرف أنها ترغب في إجابة مدهشة.. فكتب أحمد: أستحق مفتاح العالم المفقود.. ولم أفقد إيماني بك يومًا.

فلما أجاب أحمد تلك الإجابة استعادت بئر الحنان فورتها وقوتها، ثم وضعت راية أحمد الفاتح فوقها.

لكن قبيلة «المطارق».. وكانت قبيلة تكره الساعات وصانعيها وتحطمهم بمطارقها بلا رحمة، لكن في جعبة أحمد الفاتح دائمًا حيلة.

أمر ساعاته بالتظاهر بالنوم والاختباء تحت غطاء من الليمون. فلما جاءت قبيلة «المطارق» ولم تجد ساعات همت بالرحيل. لكن أحمد أخرج لهم لسانه قائلًا: في يدي ساعة خاصة لا تتحطم ولا بألف مطرقة.

هجموا عليه لكن أحمد كان قد استعاد قدرته الفائقة على الطيران بعد أن تعلم المبارزة والحب من جديد، ثم خرجت الساعات من تحت غطاء الليمون وقطعت رقابهم مضى بها أحمد إلى أرض قبيلة المطارق، ثم أعاد تركيبها على أجسادهم.

فرفعوا الراية البيضاء ووعدوه بألا يعاودوا تحطيم ساعاته من جديد فعفا عنهم ورفع راية أحمد الفاتح على أرض «المطارق».

مر الفيل الأزرق على بئر الحنان.. كان ينتظر دوره.. حتى هتف: لقد عاد.. إنه أحمد الفاتح.. ثم اخترق الصفوف وامتطاه أحمد من جديد.. وسقاه من البئر.. حتى ارتوى.

كان الولد الذي كسب من أحمد عالمه المفقود قد مل الأمر؛ لأنه ظن أن الحياة الرتيبة أفضل، وعاد لتطعمه أمه ساندوتشات اللانشون وعمل مع أبيه في بيع الحصى.. بينما استمر أحمد الفاتح في التصديق وسقاية الناس من البئر، فعادت إليه مدينة الهررة ومدينة الفيل الأزرق وبساط الريح وعرش الخيزران.. لكن توسيع رقعة ملكه كانت تحتاج إلى مفتاح العالم المفقود ومس إيمان.

مس إيمان لم تعد، ثم اكتشف أحمد الفاتح أن المفتاح كان في قلب جيبه طوال الوقت.

استعد بجيوشه لمعركة أخرى.. معركة حقيقية.. لاستعادة روحه التي تاهت منه في العالم المفقود، ليتوجها بجواره ملكة على مملكة من عصير التفاح. ولم يفقد أحمد إيمانه قط أنه سيفعل.

الملك الذي صار مهرجًا

«الضحـــك»:

كانت تلك أمنية الملك بعد ما رأى في منامه أنه لن يشفى من ألم قدمه سوى بأكبر جرعة من الضحك.

كان مرضه يجعله يقتل شخصًا يحبه كلما غضب، حتى إنه لم يتبق شخص واحد في المدينة يحبه.

فأمر الملك وزيره بأن يأتي له بكل المضحكين في البلدة. فلما جاء بهم لم يستطع أحد منهم إضحاكه، فغضب الملك منهم وقتلهم جميعًا فقتل معهم الضحك في المدينة.

فأمر الملك وزيره بأن يأتي له بكل المضحكين في العالم فأتى بهم لكنهم فشلوا في إضحاكه، فقتلهم جميعًا فقتل معهم الضحك في العالم.

ظل الملك يتألم وحده بلا أحبة بينما العالم بلا ضحك.

وذات يوم دخل عليه عراف مُسن فقص عليه الملك رؤياه أنه لن يشفى من مرضه سوى بأكبر جرعة من الضحك.

قال له العراف: أيها الملك، لقد أخطأت تفسير الرؤيا، ليس المطلوب منك أن تضحك، بل العكس تمامًا عليك أن تضحك الناس.

كاد أن يقتله، لكن اليأس دفعه إلى أن يجرب كلام العراف.

خلع الملك تاجه وارتدى طرطورًا ملونًا ثم أعطى صولجانه للوزير واستبدل به جريدةً ثم خلع العباءة الملكية وأعطاها لابنه وارتدى مكانها خرقة بنفسجية.

نزل الملك إلى العالم ليضحكه، لكنه لم يحصل على شيء سوى حبات طماطم فاسدة، لم يستطع إضحاك أحد سوى نملة، اشتد عليه ألم قدمه لكن النملة قالت له: يا ملك. أنت مضحك جدًّا.

فسألها الملك: كيف عرفتِ أني ملك رغم أنني أرتدي طرطورًا وخرقة بنفسجية وأمسك في يدي بجريدة؟

قالت النملة: لأنك نسيت أن تخلع حذاء الملك.. إن ذلك مضحك جدًّا؛ رجل يرتدي خرقة بنفسجية فوق حذاء ملك.

عرفت النملة حكايته وقررت مساعدته في إضحاك العالم؛ كي يزول ألم قدمه.

قالت له: «أستطيع تعليمك بعض الدروس، فقد كان في مملكة النمل نملة مضحكة لكنها ماتت حزنًا على قتل المضحكين».

فأخذته النملة إلى مملكة النمل وعلمته أول الدروس «لا تقتل نملة».

قال الملك: «لكن ذلك صعب»، فقالت النملة: إذا اتسع قلبك لنملة فسيسع العالم كله.. أحب العالم وحينها ستستطيع إضحاكه».

ظل الملك في مملكة النمل فترة طويلة حتى تعلم أن يحب النمل، كان يضحكهم جدًّا لارتدائه خرقة بنفسجية على حذاء ملك، لكن ألم قدمه لم يزُل رغم ذلك.

حتى أتى يوم خرجت به النملة إلى العالم مرة أخرى كان خائفًا لأنه لم يستطع إضحاك أحد من قبل سوى النمل.

ذهبت به إلى أكثر الأماكن حزنًا، حيث لا يعرف الناس سوى البكاء.

شجعت النملة الملك قائلة: تذكر أنك مضحك جدًّا وتحب النمل.

استجمع شجاعته ثم صاح: «لا تقتلوا النمل».

ضحك الناس الحزانى جدًّا؛ فلا أحد يستطيع ألا يقتل النمل، فانتبهوا إلى الملك الذي بدأ في إلقاء نكات مضحكة بالفعل حتى انقلبوا على قفاهم من الضحك.

انتقلت موجات الضحك إلى أركان العالم الأربعة، فقد كان العالم في جوع شديد إلى من يضحكه، لكن الألم زاد على الملك أكثر.

عاد إلى مدينته ليضحكها فوجد ابنه قد ارتدى عباءته وأمسك الوزير بصولجانه، وبحث عن أحبائه فلم يجدهم؛ لأنه قتلهم كلهم من قبل.

لكنه بدأ بإضحاك الناس فأحبوه جدًّا، رغم أن أحدًا لم يعرف أنه ملكهم بخرقته البنفسجية وطرطوره الملون فرفعوه فوق أكتافهم إلى القصر وطردوا الوزير وابن الملك وأجلسوا مهرجهم فوق العرش.

لكن قدم الملك ظلت تؤلمه، حتى دخلت النملة على ديوان الملك الذي ظل مرتديًا خرقته البنفسجية وطرطوره الملون وقالت له: «اخلع حذاءك» فلما خلعه قلبته النملة وأخرجت منه حصاة كبيرة كانت هي سبب الألم في قدم الملك.

فقال الملك: لِـمَ لَـمْ ألاحظ ذلك من قبل؟ فقالت النملة: لأنك لم تكن قادرًا على حب نملة، أما الآن فأنت تستحق أن تنعم بالمحبة دون أن تتألم أو تؤلم، لقد اتسع قلبك للعالم عندما اتسع لنملة.

ومن يومها والملك الذي صار مهرجًا لم يؤذ أحدًا من أحبته بل صار يضحكهم.

عرائـس ورد

سعد «فران»، لكنه يهوى صناعة العرائس من لقم الخبز، لم يكن يحتفظ بها قطُّ، كان يصنع العروس ويتركها تسبح في الهواء؛ لأن صاحب الفرن كان يقتل عرائسه إذا وجدها معه.

سعد لا يحمل ذكريات أبدًا، يحمل فقط عرائس من لقم الخبز؛ لذا عندما مات لم يتألم، بينما مات صاحب الفرن صريع ذكرياته.

وفي يوم جنازة سعد الفران حملته العرائس مع الملائكة فطار نعشه سريعًا إلى السماء، فضل أغلبهن البقاء معه هناك.

لكن ثلاثًا منهن.. عدن.. كان سعد قد نصحهن أن يذهبن إلى ورد. وورد فتاة صغيرة تهوى أن تجمع كل ما فاض عن حاجة الآخرين ونبذه الأحبة: ورد ذابل.. خطابات.. قبلات تائهة.. كانت تصنع منها مفارش وزنانير تصلح للعب وللنغز.

كان أبوها مشغولًا بزيجات كثيرة؛ ليضمن من يصلح له شاربه.. رغم أنه لا أحد يجيد ذلك أكثر من ورد.

لم يكن يناديها إلا بالجنية؛ لهوايتها العجيبة في صنع الأشياء الجميلة من الأشياء المهملة.. فتعاملت ورد مع نفسها باعتبارها جنية، حتى إنها نسيت تمامًا أنها إنسية عادية.

هبطت العرائس الثلاث في منزل ورد، فرحت بهن جدًّا، عاملتهن كأم، وكانت تطعمهن بيديها، وتتقاسم معهن الغطاء نفسه.

لكن في يوم رغبت زوجة أبيها الجديدة في قص شارب والد ورد كي لا يستمر في إزعاجها بطلبه في إصلاح شاربه، فانتظرت حتى ينام، ثم قصته وألقت بالشارب تحت مخدة ورد، فلما صحا من نومه ولم يجد شاربه، أخبرته زوجته بأن ورد هي من قصته أثناء نومه.

وجد شاربه تحت مخدة ورد، فقرر عقابها بإغراق عرائسها الثلاث.. بكت ورد.. لكنَّ بكاءها لم يُعِد الحياة إلى عرائسها.. رغم كونها جنية.

كبرت ورد واستمرت في تحويل أفكار الناس المشوشة وأشيائهم الفائضة عن الحاجة إلى أشياء جميلة علَّ عرائسها تعود.. ولم تنتظر أميرًا بل انتظرت جنيًّا مثلها.

وفي يوم جاءها ولد على عنزة بيضاء، طلب منها أن تساعده في حلب عنزته؛ لأن القمر جائع! اندهشت ورد ، كان الولد يدعى «حبلص»، فاندهشت أكثر من اسمه، وفسرت ذلك بكونه جنيًّا مثلها، ساعدته ورد على حلب العنزة، ملأ حبلص كوبًا من الحليب وسقاه للقمر.

دق قلب ورد للمرة الأولى، لكن حبلص كان مشغولًا بإطعام القمر.

أحب القمر اللبن المحلوب على يد ورد أكثر من أي لبن ذاقه في حياته.. كان يقول: إنها تحلب قلبها لا العنزة، لكن «حبلص» لم يهتم.. لكنه فكر في يوم أن يتذوق

من حليب ورد، فوجده شديد اللذة، خشي حبلص من الوقوع في حب الحليب؛ لذا كان يسكبه في كل مرة مدعيًا أنه سقط منه سهوًا.

كانت ورد دائمًا تناديه: يا جني، ظلت تفعل ذلك حتى صدق «حبلص» أنه جني، أحب «حبلص» «ورد» لكنها اشترطت عليه أن يعيد إليها عرائسها.

لم يستطع فتركته؛ لأنها اكتشفت أنه ليس جنيًّا.. بينما لم يصدق «حبلص» أنه ليس كذلك.

ظل «حبلص» تائهًا، حتى عمل فرانًا في الفرن الذي كان يعمل به سعد صانع العرائس.. قرر أن يطعم ذكرياته التائهة والمنبوذة في قصته مع ورد في الفرن.

ومن وقتها لم ينتج ذلك الفرن خبزًا، فأفلس صاحب الفرن وحاول أن يتذكر الأيام التي كان الفرن ينتج فيها خبزًا فمات صريع ذكرياته، ميتة مؤلمة كان يستحقها؛ لأنه كان يقتل العرائس التي كان يصنعها سعد.

انتقل الفرن المنبوذ إلى «حبلص».. بعد أن زهد فيه الجميع.

جرب «حبلص» مرة أخرى فأتى بالدقيق والخميرة.. لكن الفرن الذي لم يعد ينتج خبزًا أنتج عرائس.. عرائس تسبح في الهواء.. وتطير إلى أصحابها.. ثلاث عرائس فقط كن يخصصن وردًا وعدن إليها.

صار «حبلص» غنيًّا من فرن منبوذ يصنع العرائس.. أما ورد فظلت تمارس دورها كجنية.. وظلت تطعم عرائسها وتحيك من الأفكار المشوهة وأشياء الناس المنبوذة أشياء جميلة.

تركهما القمر لشأنهما؛ لأنه لا أحد يمكن له أن يسيء إلى قلب القدر الأبيض، ثم انشغل عنهما بعشقه لحوريته التي لم تأت بعد.

الولد الذي جمع ألبوم الشمس

أمير الحمير، ولد شقي يحب التفاح والبلي، بطولاته العظيمة هي التي رفعت رأس شارعنا عاليًا، احتفلنا الليلة معه وصرنا نشرب «الكراش» وأكياس عصير القصب ابتهاجًا بالذكرى الخمسين لانتصارنا على الشارع المجاور، وهو احتفال كان يتكرر مرة كل أسبوع.

اعتلى «أمير الحمير» عرشه الذي بناه على تبة قش عالية ونام حتى الصباح بعد أن اطمأن إلى ازدياد ثروته من البلي، وبعد أن قبل بليته العجيبة التي أهداها له ولد أسود عندما صدق أن بإمكان عربجي أن يصعد بحماره إلى قرص الشمس ليعود أجمل.

كانت تلك البلية تتحرك وحدها دون أن تخطئ هدفًا، أذكر أني حكيت شيئًا شبيهًا في حياة سابقة.

لكن حدوتة أمير الحمير تلك المرة لم تكن مع البلي، فعندما طلعت الشمس وصعد إليها العربجي بحماره، عاد ومعه ألبوم من الصور الناقصة حصل عليه من الشمس.

فرج العربجي الألبوم لنا نحن أولاد الشارع، كانت الصور الناقصة عبارة عن حكاية من يجمعها يفوز بجائزة من ثلاث: الأولى طائرة ورقية تطير بصاحبها إلى أي مكان يريده، والثانية علبة نجوم كاملة، أما الثالثة فظلت مفاجأة؛ فقد كانت هي الجائزة الكبرى.

انشغلنا جميعًا بحدوتة الألبوم لكن أمير الحمير نظر إلى الأمر بتعالٍ كعادته من فوق تبة القش العالية.

قال لنا العربجي إن الصور الناقصة موجودة بجوارنا دائمًا، كان على أحدنا أن يجد طرف الخيط الذي تبدأ منه الحكاية.

ظللنا نحاول أن نجمع صورًا لكن لم تتناسب أيٌّ منها مع الصور التي في الألبوم.

استمر الأمر عدة أسابيع وأمير الحمير يسخر منا ومن الألبوم الذي شغلنا عن لعبته المفضلة؛ البلي.

سرعان ما مللنا ونسينا حكاية الألبوم الذي خبأه العربجي في تبة القش التي يسكنها أمير الحمير – دون علمه – لأن الشمس دعته لقضاء عام في نزهة بين الكواكب.

عاد أمير الحمير ليلعب معنا بالبلي، حتى صحونا من نومنا ذات يوم، لم نجد أمير الحمير فوق تبته، ووجدنا الألبوم مكانه.

صعد الولدان «إسلام البلجيكي» و «زيكة بندق» إلى أعلى التبة وفتحا الألبوم، ثم سرعان ما هتفا: لقد وجدنا طرف الخيط الذي سيقودنا إلى استكمال الألبوم والفوز بجوائز الشمس.

جرى «إسلام البلجيكي» نحو سور شارعنا الذي كنا قد كتبنا عليه اسم أمير الحمير تخليدًا لبطولاته، كان السور عليه صورة أمير الحمير وهو يطعن كبير الشارع

المجاور بكوز قصب.. فصرخ الولد «زيكة بندق»: إنه هنا.. أمير الحمير هنا في الألبوم.

تجمعنا لننظر فوجدنا أمير الحمير بالفعل في الصورة الأولى.

قرأت لنا جنية الألبوم الكلام الذي كان مكتوبًا تحت الصورة؛ لأننا لم نكن نجيد القراءة: «أمير الحمير يبحث عن رمش حبيبته التائه».

سخرنا جميعًا من كلام الجنية؛ لأن أمير الحمير انشغل عن قسوة الحب بالبلي، كان أمير الحمير يحب فتاة ركلته بنعل حذائها في حياة سابقة؛ الحياة التي عاد منها بقرار وحيد هو أن يكرس حبه للبلي؛ لذا كان غريبًا أن يبحث أمير الحمير عن رمش حبيبته التائه.

استكملت الجنية الكلام تحت الصورة «رحل أمير الحمير إلى أجمل بلدة في العالم، ماندورلا، لم يكن يعرف أن رحلته من أجل رمش حبيبته التائه، وصانعو الحكاية خبئوا عنه ذلك وأقنعوه بأنه ذاهب ليجد بلية جميلة تمتلك ميزة الطيران ليضمها إلى ثروته من البلي؛ لذا ترك أمير الحمير تبة القش العالية وقفز إلى الألبوم.

قابل أمير الحمير الفلاح أجعد وبناته الثلاث ورأى السحابة التي تمطر قبلات كلما مرت وجلس تحت نافورة الفاصوليا البيضاء، لكن أمير الحمير اضطر لأن يدفع بلية كل يوم لساحرة عجوز؛ كي تسمح له بالمبيت وتعد له الحساء، وكانت الساحرة تبيع البلي لأهل المدينة، مقابل أموال ضخمة حتى قارب بلي أمير الحمير على النفاذ، وكان أهل المدينة يستخدمون البلي كتمائم حظ ولم يكونوا يعرفون أن البلي هو هبة للعب. توقفت جنية الألبوم عن القراءة فقفز «زيكة بندق» إلى الشجرة العالية وأخرج تفاحة ووضعها في الألبوم فعادت جنية الألبوم للحكي:

«في يوم شعر أمير الحمير بالجوع، فطلب الحساء من الساحرة العجوز وكان البلي الذي معه قد نفد، فطردته من البيت ولم تعطه شيئًا.. خرج أمير الحمير فلم يجد ما يأكله وكان ينظر بحسرة إلى بليه الذي صار في يد الناس.. لكنه وضع يده في جيبه وفكر في حبيبته التي هجرته في حياة سابقة، شعر بالألم؛ الألم الذي تحول إلى تفاحة وجدها في جيبه فأكلها. في اليوم التالي اشتد عليه الجوع فتكرر معه الأمر، لكنه في اليوم الثالث لم يجد التفاحة في جيبه.

توقفت الجنية عن الحكي فأخرج «إسلام البلجيكي» بلية كان أمير الحمير قد أهداها له، ووضعها في الألبوم فواصلت الجنية حكيها:

«لم يجد أمير الحمير في جيبه سوى بلية؛ بلية عادية حتى إن ألوانها لم تكن جميلة، قذفها أمير الحمير في الطريق فتصادمت مع بلية كان يملكها ولد عنيد يدعى «أدهم». سأله أمير الحمير: تلعب؟

لم يفهم أدهم ما الأمر، لكن أمير الحمير شرح له كيفية اللعب وبدآ اللعب.

فاز أمير الحمير بالبلي كله وظل يلعب ويلعب مع أهل المدينة، حتى جمع كل البلي الذي فقده، وصار أغنى ولد في البلدة، لكنه لم يجد بعد ما أقنعه صانعو الحكاية بأنه جاء للبحث عنه: بلية جميلة تمتلك ميزة الطيران.

حتى أتى على المدينة وحش كاسر يكره الجمال، ولما كانت ماندورلا أجمل مدينة في العالم، لم يجد وجبة شهية أفضل منها.

أعلن الوحش نفسه حاكمًا للمدينة، وكانت له بنت لا يحبها لأنها كانت جميلة، لذا علقها في شجرة تفاح.

توقفت الجنية مرة أخرى عن الحكي، لم نعرف هذه المرة ما الذي ينبغي فعله، لكن أمير الحمير نادى على زيكة بندق وإسلام البلجيكي من داخل ألبومه ليصنعا حريقًا كبيرًا في تبة القش العالية، فاحترق معه بعضٌ من آثار حياة أمير الحمير السابقة كعاشق مهجور، خطابات، صور، قبلات، كانت تحترق.

امتلأ صدر الجنية بدخان الذكريات المحترقة لأمير الحمير، ثم نفخته في الصورة الناقصة بالألبوم، اخترق الدخان عين الوحش، فطارد أمير الحمير الذي رمى بكل بليه العجيب في الأرض فتعثر الوحش فيه وفقد نصف هيبته بضحك أهل المدينة عليه فقذفوه بالفاصوليا البيضاء التي تخرج من نافورتهم.

في ذلك اليوم اكتشف أهل المدينة السر الذي تحمله الفاصوليا البيضاء التي تخرج من النافورة، كانت الفاصوليا تحقق الأمنيات؛ لذا تحولت كلها إلى بلي يطير تمامًا كما تمنى أمير الحمير الذي اعتلى تبة قش عالية معلنًا امتلاكه أجمل مدينة في العالم.

أبرز البلي الطائر سيوفه وحاصر الوحش الذي استسلم تمامًا، ومرت السحابة التي تمطر قبلات وأمطرت، ولأن القبلات جميلة فقد ذاب الوحش لأنه يكره الأشياء الجميلة.

خرج أمير الحمير منتصرًا وأعلنه أهل المدينة حاكمًا أبديًّا على أجمل مدينة في العالم.

توقفت الجنية عن الحكي بعد أن تبقت صورة واحدة فقط ليفوز إسلام البلجيكي وزيكة بندق بجوائز الشمس، فتشنا أرجاء شارعنا شبرًا شبرًا ولم نجد أي شيء فتفرقنا يائسين، لكن بعد ثلاثة أيام فوجئنا بأمير الحمير معتليًا عرشه من جديد.

أمسك أمير الحمير ألبوم الشمس ثم أخرج رمش فتاة ووضعه في الألبوم الذي اكتمل وحكى لنا بنفسه ما حدث:

بعد أن ذاب الوحش وجدنا ابنته معلقة في شجرة تفاح، كانت حبيبة لا تحمل في قلبها بذور الفراق، تحمل له صورًا وقبلات وخطابات أخرى تعوضه عن التي احترقت.

عاد أمير الحمير بحبيبته لكنه ظل حاكم ماندورلا أجمل مدينة في العالم، وكانت المدينة تزورنا في شارعنا من وقت لآخر؛ لأن أمير الحمير لم يكن ليسكن في أجمل مدينة في العالم ويتخلى عن أمجاده في شارعنا، أما إسلام البلجيكي وزيكة بندق فانتظرا جوائز الشمس بعد استكمالهما الألبوم، لكنها لم تأت.

حزنا كثيرًا ثم نسيا وعادا للعب البلي مع أمير الحمير واستكمال الغزوات معه، لكن ذات يوم عاد العربجي الذي صعد إلى الشمس لقضاء نزهة بين الكواكب، ومعه جوائز الشمس.

أعطى إسلام البلجيكي طائرة ورقية يطير بها إلى أي مكان في العالم، وأعطى زيكة بندق مجموعة كاملة من النجوم وانتظرنا جميعًا أن يعطي الجائزة الثالثة التي كانت مفاجأة الشمس الكبرى لأمير الحمير، لكنه قبل ذلك وزع علينا جميعًا نحن عيال الشارع شارات ذهبية كهدية من الشمس، فصار عيال شارعنا هم أبناء الشمس، وأصبحت تنزل لتلعب معنا أحيانًا.

تقدم العربجي من أمير الحمير، وأعطاه الجائزة التي انتظرنا معرفتها، لكننا لم نعرف قطُّ ما الذي خبأته الشمس في قلب ذلك الفتى.

أم-لك الي-وم أغن-ي-ة

لا أملك اليوم حكاية، لكني أملك أغنية، مطربها صديقي الشخصي؛ لذا ذهبت إليه لأسأله عن حكاية.

كان ضريرًا مثلي لكنه قادر على اكتشاف العالم، هو بأغنية وأنا بحدوتة. سيد مكاوي صاحب مأساتي الكبرى «أوقاتي بتحلو معاك»، وكارثتي اللانهائية «يا مسهرني».

قال لي: الموت خدعة.. قلت له: كأغنياتك.

عرف أني مرهق فغنى لي: يا للي تحبوا الفن.. فصرخت: أريد حدوتة.

فقال: غدًا تعرف أفضل وترى، كنت أرى العالم في يوم واحد في العام، في ذلك اليوم لم أكن أغني لأني كنت أحلق، أطير إلى سماوات أخرى.

فصرخت: أريد حدوتة بلا أغنيات.

فتابع: وفي ذلك اليوم قابلت حورية.

فصرخت: أريد حدوتة بلا حوريات.

فقال: غدًا تعرف أفضل وترى.

أخذته وطرنا بعيدًا عن الحوريات إلى مدينة يسكنها أقزام في مدن من صلصال، كانت تلك مدينتي المفضلة؛ لأنهم لا يصنعون أشياء ذات معنى، كانوا فقط يلعبون، أشياء طيبة.. أفيالًا وردية، نملة تحارب قطيعًا من الماعز، سناجب تلعب النرد، أشجارًا تثمر الشيكولاتة.

وكانوا يحبون عم سيد، ليس لأغانيه ولكن لأنه مثلي ضرير فكانوا يستمتعون بمداعبته وكان يبهرهم بقدرته على ربط الكرافت بدون أن يرى.

عرف الأقزام مزاجي اليوم فخبئوا عني الحوريات بينما عم سيد يصرخ: «بس كده القاعدة ناشفة».. وقدموا لنا مشروبنا المفضل: عصير قبلات.

جلسنا في فرح وطرب، حتى باغتنا نبأ مزعج، لقد جاء إلى المدينة العماليق السبعة ليأكلوا أجمل ما فيها.

ولما كان الأقزام قد خبئوا عني الحوريات لم يجد العماليق أجمل من عم سيد، فأخذوه، كدت أصرخ، لكن عم سيد قال لي مطمئنًا: الموت خدعة.. غدًا تعرف أفضل وترى.. قال لي الأقزام إن أمامنا أسبوعًا فقط لإنقاذ عم سيد وإلا سيقتله العماليق.

ألبسني الأقزام ثوب أحمد الفاتح وسيف الإسكندر، لم أكن مستعدًّا لارتداء الثوب أو الإمساك بالسيف، كنت مرهقًا جدًّا، لكنه عم سيد.

طلبت منهم أن يصنعوا لي جيشًا من الصلصال، فصنعوا لي جيشًا جبارًا من السلاحف المقاتلة، لكنها لم تتحرك.

قال لي الأقزام: جاء دورك.. حركها.

حاولت بشدة.. خمسة أيام وأنا أحاول.. حتى يئست فقلت لهم: لقد فقدت حوريتي.. كانت تجعلني أعرف كيف أحرك جيشًا من الصلصال.

قال واحد منهم: لا نملك أن نستعيده.. لكني أملك اليوم أغنية.

فغنى أغنية سيئة.

كدت أضربه، تمنيت لو كان سيد موجودًا ليغني فهو مطربي الخاص والسري في لحظات التعب والوحدة. أسكت القزم وحولته إلى صلصال.

هلل الأقزام ليس لأني حولت صاحبهم إلى قطعة من صلصال ولكن لأني إن كنت قادرًا على فعل ذلك فأنا بالتأكيد قادر على تحريك جيش كامل من الصلصال.

المذهل أني نجحت، امتطيت سلحفاة من السلاحف المقاتلة وطرت بها تتبعني السلاحف والأقزام الذين قرروا إنقاذ عم سيد ولو كلفهم ذلك مدينة من صلصال.

وصلنا إلى السور العالي، كان ذلك هو اليوم السابع؛ اليوم الذي سيأكلون فيه عم سيد الذي اتضح لنا فيما بعد أنه أتعبهم جدًّا.

كان على العماليق السبعة أن يخرجوا بذرة قلبه أولًا لرميها في النهر قبل أكله، فقد كان يقول لهم: أملك اليوم أغنية.. ثم يغني فكانت بذرة قلبه تطرح شجرًا باسقًا في كل مرة؛ شجرًا من قلوب، كانوا يقتطعونها لكن بعد أن تصبح بذرة قلبه آلاف القلوب.

بأقواس تطلق الدوم قذف الأقزام السور حتى استطاعوا عبوره، بينما طرت على السلحفاة إلى المدينة.

قاتلت السلاحف بضراوة الآلاف من النمل المحارب الذي كان يأتمر بأمر العماليق السبعة.

أما أنا فبارزت كبيرهم بسيف الإسكندر، بينما جلس الأقزام يداعبون عم سيد مستغلين هيئته كضرير أما هو فظل يحاول إبهارهم بقدرته على ربط الكرافت دون أن يرى.

كانت المعركة بيني وبين كبيرهم ضارية، توقفت لحظة عن المبارزة وسألت كبير العماليق السبعة عن سبب يجعلك تفقد حوريتك.

ترك العملاق سيفه فتركته بدوري ثم جلسنا معًا وحكى لي عن حوريته المفقودة: كانت حورية لها مذاق الفصول الأربعة ثم هجرتني؛ لأني تمنيت أن أكون عملاقًا آكل الأقزام بينما تمنت هي أن أكون ودودًا.. فقط ودودًا.

قلت له: ليس من الصعب أبدًا أن تكون ودودًا، لا تحزن، إننا فقط ننسى. ثم عدنا للمبارزة مرة أخرى والتي انتهت – قطعًا – بفوزي وتعليقي له من أصابع قدمه في شجرة من أشجار القلوب، فاستسلم العماليق وأمرت سلاحفي بالتوقف عن مقاتلة النمل المحارب.

عدنا بالشيخ سيد بعد أن رفعت علم أحمد الفاتح على مدينة العماليق السبعة ووليت عليها القدم الذي يغني بشكل سيئ كوسيلة للتخلص منه. غنى لي الشيخ سيد

طويلًا، ولما عدنا قال لي: ألم أقل لك؟ الموت خدعة.. غدًا تعرف وترى.

جلست أتأمل شمعة تحاول الموت في سلام ثم قلت له: نعم خدعة.. تمامًا كأغنياتك. ضحك سيد قائلًا: هجرتني يومًا حورية.. فكنت أقول لها كل يوم: أملك اليوم أغنية، لم أرم بذرة قلبي في النهر بل تركتها حية دافئة تنبت المزيد من الأشجار.. هكذا انتصرت على العماليق.

سألته: وهل عادت إليك؟ فابتسم قائلًا: وما الفارق؟ فالموت في النهاية خدعة.. غدًا تعرف وترى.

بـائـع الونــس

كل ما يظنه صالح عن نفسه أنه شخص عادي يحمل رائحة مميزة أهلته لبيع الورد.

كان الأكثر مهارة على الإطلاق، لكنه فقط لم يكن يعرف أو يصدق، وذلك لتعثره الدائم، فإن اقتنع يومًا بأنه شخص لطيف فاجأته الأيام بنفسه وهو يتصرف كأكثر الأشخاص فظاظة، وإن صدق كونه مميزًا، فاجأته الشمس بنفسه وهو يعاملها كسكير، وإن رأى في المرآة صورته كبائع ورد صادف نفسه وهو يقذف زجاج المحال بالطوب.

لذا ظل صالح يبيع الورد بمهارة من لا يصدق أنه الأكثر مهارة على الإطلاق.

فقد صالح حبيبة بسبب فظاظته تلك، أشعل النار في ذكرياتهما معًا ومضى أكثر راحة من ذي قبل.

تكررت تصرفاته الفظة؛ لذا قرر صاحب محل الورد أن يغلق المحل على صالح لمدة عام كعقاب لأنه تصرف كأكثر الأشخاص فظاظة وعامل الشمس كسكير وقذف زجاج المحال بالطوب.

قال له صاحب المحل: سأسافر إلى ماندورلا أجمل مدينة في العالم، لو استطعت إبقاء الورد حيًّا طيلة عام فسأهبك محل الورد.

سافر صاحب المحل وترك «صالح» وحيدًا مع ورده، لم يعرف صالح كيف يتصرف، كل ما يعرفه عن نفسه في تلك اللحظة أنه فظ وسكير ويقذف زجاج المحال بالطوب.

وهي الفكرة الأولى التي وردت ببال صالح؛ لأن المحل كان من زجاج، وكان ذلك الحل يتيح له الخروج بسهولة من مأزق بقائه مع الورد لمدة عام.

كاد صالح يفعل لولا أن وردة ياسمين قررت أن تحكي له حكاية، أخذته من يده وطارت به إلى بلدتها القديمة التي يحرسها غراب محترق.

كانت بلدة كاملة من القش لذا احترقت بسهولة، فلم يتبق من أهلها سوى تماثيل جميلة من الفحم.

حكت الوردة لصالح حكاية المدينة: «أنا من أحرقت تلك المدينة رغم كوني أجمل ورودها على الإطلاق، لكني لم أصدق ذلك يومًا، خطبني ابن ملك المدينة وكنت أقول له: لو عملت حطابًا سأحبك. لأني كنت أرغب دائمًا في الزواج من حطاب. ترك المملكة وعمل حطابًا من أجلي فغضب الملك، وحبس ابنه في برج عالٍ من القش، وأمر ساحر بلاطه أن يحولني إلى ناي، فظللت أعزف لحبيبي.. لكن البرجَ كان عاليًا جدًّا جدًّا وكان الغراب يأكل صوت الناي قبل أن يصل إليه؛ لذا لم يصل إليه قطُّ.

ذهبت إلى عرافة عجوز وطلبت منها أن تجعل مني عود ثقاب لإنقاذ حبيبي، صرت عود ثقاب وأشعلت النار في برج القش، فاحترقت المدينة بأكملها وتحولت إلى تماثيل من الفحم، وما زلت أحيا بندمي على إحراق المدينة من أجل حبيبي الذي

تحول إلى تمثال من الفحم».

طلبت الوردة من صالح أن يساعدها في إعادة تماثيل الفحم والمدينة إلى بهائها الأول، ورغم أن «صالح» لا يصدق أنه الأكثر مهارة على الإطلاق، فإنه حاول.

بدأ من وردة الياسمين نفسها، جعلها تصدق أنها أجمل وردة في الدنيا على الإطلاق، قبلها بحنان يليق بملكة وأجلسها على عرش من الفل، نفخت وردة الياسمين قبلة صالح في تماثيل الفحم فعادت إلى الحياة وبهائها الأول، وعادت مدينة القش جميلة كما كانت وتزوجت الوردة من ابن الملك الذي عمل حطابًا من أجلها.

قالت الوردة لصالح: أنت الأكثر مهارة على الإطلاق. كاد صالح يصدق لولا أن تعثر في حجر، فمزق فستان الملكة غاضبًا ليجد نفسه من جديد في محل الورد، فكر في نفسه كشخص فظ يعامل الشمس كسكير ويقذف زجاج المحال بالطوب.

قرصه الجوع وفكر في أن البقاء لمدة عام في محل ورد مغلق قد يعني هلاكه فقرر أن يأكل الورد، لولا أن وردة قررت أن تحكي له حكاية فأخذته من يده وطارت به إلى مدينة من حليب.

قالت له: «كنت أحلب الأبقار في مدينتي، وكان أهلها يقدسون بياض الحليب حتى إنهم قرروا طلاء سماء المدينة كلها بالأبيض، حتى نسوا لون السماء الأصلي، لكن ذات يوم رأيت لون السماء الأزرق فلما صحوت من نومي وجدت نفسي أشتاق إلى اللون الأزرق؛ اللون الحقيقي للسماء. فقررت طلاء السماء به. وما إن بدأت حتى اتهمني أهل المدينة بالزندقة، وقرروا معاقبتي بنزع الرائحة مني، فلما فعلوا ذلك قررت أن أعلم المدينة أن اللون الأبيض هو أكثر الألوان هشاشة. فتركت آثار حذائي في كل شبر في المدينة، ولم يتحمل اللون الأبيض آثار الحذاء فعاقب المدينة بانتزاع رائحتها.

طلبت الوردة من صالح أن يعيد إليها وإلى المدينة البياض والرائحة. ورغم أن «صالح» لم يصدق أنه يستطيع فإنه قبل الوردة فأعاد إليها رائحتها التي انتشرت في المدينة لتعيد إليها الرائحة، ومسحت الوردة آثار حذائها عن اللون الأبيض.. وطلبت من صالح أن يطلي لها السماء باللون الأزرق وقالت له: أنت الأمهر على الإطلاق، كاد يصدق لولا أنه أثناء صعوده إلى السماء أحرقت الشمس إصبعه، فسكب دلو الطلاء الأزرق في وجهها غاضبًا ليجد نفسه مرة أخرى في محل الورد.

قارب الورد على الذبول؛ مما يعني أنه سيخسر رهان صاحب المحل لولا أن «صالح» قرر أن يحكي لهم حكاية.

قال صالح: «كان هناك ملك وملكة لم يرزقا بسوى طفل وحيد، كان الطفل دائمًا ما يولي وجهه شطر الشمس؛ فأصاب ذلك رقبته بألم شديد جعله دائم الصراخ، فقررا علاجه بأن يحجبا عنه نور الشمس وحبساه في حجرته وعينا حارسًا ليراقبه وليمنع دخول ضوء الشمس إليه، لكن الولد كان ينتظر الليل دائمًا ليصنع ونسه الخاص؛ الونس الذي أعانه على اكتشاف الشمس رغم شدة العتمة.

كبر الولد وتمرد على حجرة أبويه وهرب موليًا وجهه نحو الشمس وعمل بائع ورد وأدرك أن علاج ألم رقبته هو الونس بالورد.

أحب الولد لكن حبيبته قررت حرمانه من الونس ليعود إليه ألم رقبته، فأحرق ذكرياته معها.

ظن الجميع أنه سيسقط صريع ذكرياته المحروقة، لكنه لم يفعل فهو قادر دائمًا على اكتشاف الشمس وصناعة ونسه الخاص مهما كانت شدة العتمة.

لم تنته حكاية صالح، بل خرجت منها حكايات وحكايات، ظل الورد يستمع إليها طيلة عام فلم يذبل، حتى عاد صاحب المحل ليجد ورده ما زال حيًّا ونضرًا، فوهب صالح محل الورد، وعاد إلى ماندورلا أجمل مدينة في العالم.

استمر صالح في بيع الورد بمهارة من لا يعرف أنه الأمهر على الإطلاق، لكن لم تصطده الأيام وهو يعاملها بفظاظة ولم تفاجئ الشمس بولد لطيف يعاملها كسكير ولم يجعله الغضب يقذف محال الزجاج بالطوب.. وعلق لافتة على محله: «اشتر الورد واحرق ذكرياتك إن لم تجلب لك سوى الألم».

اشتهر محل صالح لأن ورده كان يكتشف جمال الفتيات، كما كان يجعل العشاق أكثر جاذبية في أعين حبيباتهن.

وفي يوم دخلت المحل فتاة رائعة الجمال، لم يشاهد صالح مثلها ولا حتى في ذكرياته المحترقة، وطلبت منه أن ينتقي لها باقة ورد تصلح كهدية للشمس، فانتقى لها صالح أجمل باقة ورد انتقاها في حياته.

علمت الفتاة أنه شخص عادي يحمل رائحة مميزة تجعله الأمهر على الإطلاق في بيع الورد، أحبته وأحبها، وزوجتهما الشمس بنفسها وأهدت «صالح» بستانًا وبحيرة؛ لأنه كان دائمًا قادرًا على اكتشافها مهما كانت شدة العتمة.

قهـوة سـيئة الصنـع

«حسن» يحب البن، بن آخر غير بن أمه المحوج، لم يعثر قطُّ على قهوته الخاصة لأن لا بن صنع لأجله.

قال «حسن» لأمه: سأرحل لأجد قهوتي الخاصة.. فبكت أمه؛ لأنها كانت تريده أن يشرب من بنها المحوج.

رحل «حسن» دون أن يأخذ معه سوى زاد يوم، ظل يمشي بلا هدى حتى قابل وردة نرجس فقال لها: أريد صباحًا جميلًا يصلح لاكتشاف البن.

لم تجبه الوردة.

فقابل وردة ياسمين فسألها صباحًا جميلًا يصلح لاكتشاف البن.

فلم تجبه الوردة أيضًا.

فقابل وردة بنفسج فسألها نفس السؤال فلم تجبه.

قال «حسن»: سأصنع لنفسي صباحًا جميلًا يصلح لاكتشاف البن دون أن أسأل أحدًا.

لم يتبق معه سوى كسرة خبز، فكر في أن يحتفظ بها للحظة جوع قاتلة، لكنَّ امرأة عجوزًا سألته أن يعطيها الكسرة مقابل أن تقرأ له بخته.

صنعت له المرأة فنجانًا من البن شربه واستطعمه كثيرًا لكنه قال لنفسه: ليست تلك قهوتي الخاصة.

لما انتهى قلبت العجوز الفنجان، ثم قالت له: تبحث عن صباح جميل لاكتشاف البن.. ثم أشارت له إلى تعاريج الفنجان.. وقالت: البحث عن صباح جميل لا يمنحه سؤال الورد.. ثم اختفت العجوز.

غضب «حسن»؛ لأنه شعر أن المرأة العجوز خدعته وحصلت منه على آخر كسرة خبز دون أن تمنحه إجابة تضيء له الطريق.

اشتد المطر على «حسن» ثم جاءه الجوع الكافر وقرر أن يقتله؛ لأنه فريسة سهلة.

طعن الجوع الكافر «حسن» عدة طعنات ومع كل طعنة كان الجوع يوقع أشياء دون أن يدري: تفاحًا وعنبًا وكيسًا من البن.

ترك الجوع «حسن» بعدما ظنه ميتًا، فلما أفاق وجد في حجره التفاح والعنب وكيس البن.

أكل حتى شبع وكتم جراحه بالبن، وصنع بالباقي كوب قهوة.. لم تكن هي أيضًا قهوته الخاصة.

هبت ريح قوية؛ بعد ثالث رشفة، أطاحت بكوب القهوة من يده.

ظلت القهوة تسيل من الكوب حتى صنعت نهرًا من البن، ثم صنعت أشجارًا من

البن وجبالًا وأنهارًا وسوقًا للناس وجامعًا لله؛ مدينة كاملة من البن.

كانت المدينة تشبه فنجان «حسن» كما قرأته المرأة العجوز مدينة من تعرجات كثيرة، حتى إن شمسها كانت بنية اللون.

قال له غراب ينعق فوق مدينة البن: تلك مدينتك.. نهار غارق في البن.. فاصنع بها نهارًا جميلًا.

كان أهل المدينة جميعهم يأملون أن ينقذهم «حسن» من تعرجات فنجان قهوته الخاصة.

لم يعرف كيف فقال لنفسه: سأرتجل!!

فتح دكانًا لبيع القهوة لكن لم يشربها أحد سواه؛ لأن المدينة بأكملها كانت من البن.

حاول أن يكتشف تعرجات قهوته، فظل يسير ويحاول أن يفك طلاسمها، حتى تعثر في حجر فتدحرج من فوق تل عالٍ فلما هبط وجد نفسه أمام فتاة جميلة.

شعرت به خائفًا ويردانًا فصنعت له قهوة سيئة المذاق، لكنه شربها مستمتعًا بكل قطرة بها، فقد وقع في غرام تلك التي لا تجيد صناعة القهوة.

أخذته من يده كطفل وقالت له: مدينتك مليئة بالتعاريج.. لكني أحبك.. فقال «حسن»: قهوتك سيئة لكني أحبك.

مرحا معًا في مدينة البن، لعبا وغنَّيا، كانت المدينة تتخلص من تعاريجها أثناء قبلاتهما وكانت تعود إلى حالها إذا كف «حسن» عن تقبيل فتاته التي لا تجيد صنع القهوة.

لم يكن هناك حل سوى أن يحيا معها في قبلة طويلة.

عاش أهل المدينة في صباح جميل حتى أتت أمه إلى مدينة البن بحثًا عن ابنها الذي غاب عنها، فوجدت مدينته قد صارت صباحًا جميلًا ووجدته يتبادل القبلات من وقت إلى آخر ويحتسي القهوة من يديها ليصنعا معًا صباحًا جميلًا.

قال حسن لأمه: يا أمي، وجدت قهوتي الخاصة.. ثم أشار إلى فتاته.

ذاقت الأم قهوة الفتاة فلم تعجبها، وأخرجت بنها المحوج قائلة لحسن: إن قهوتها سيئة وبلدتنا أجمل من تلك المدينة.

حزنت الفتاة التي لا تجيد صنع القهوة من تلك الكلمات فأعاد حزنها التعرجات إلى المدينة وعادت الشمس بنية اللون من جديد، فقالت الأم لحسن: ألم أقل لك؟!

لكن حسن قال لها: قهوتها السيئة هي قهوتي الخاصة.

عادت الأم إلى بلدتها غاضبة، لكنها استمرت في إرسال الرسائل مع نحل غاضب كان يقرص «حسن»، مما كان يدفعه للإساءة إلى فتاته.

زادت تعرجات المدينة وعاد الصباح الجميل للاختفاء.

قالت فتاته له: تشوه وجهك وقلبك من قرصات النحل.. ولم تعد تجيد تقبيلي.. ثم تركته.

ازدادت التعرجات في مدينة «حسن»، قرر أن يعود إلى بلدته ويستسلم لبن أمه المحوج في مدينة بلا تعرجات.

وهو في الطريق إلى بلدته رأى المرأة العجوز التي قرأت له فنجانه من قبل، كان جائعًا وخائفًا ولا يمتلك حتى كسرة خبز، فأعطته المرأة العجوز كسرة وأعدت له فنجانًا من القهوة.. شربها «حسن» وتذكر كم كان يحب طعم قهوة فتاته السيئ.

قالت له المرأة العجوز: يكفيك أنك صنعت مدينتك.. حتى لو كانت مليئة بالتعرجات.

لكن «حسن» شرب القهوة واستمر في طريقه، نال منه التعب فنام فرأى فتاته في المنام تصرخ وتبكي، حاول الاعتذار إليها كثيرًا لكنها رفضت.. قال لها: اشتقت إلى قهوتك.. لكنها لم تقبل لأنه أغضبها برحيله عن المدينة التي صنعاها معًا.

قام «حسن» من نومه، قرر العودة إلى المدينة.

عندما وصل قال لشمسها البنية: سأهبك صباحًا جميلًا يصلح لاكتشاف البن.

ثم أغرق المدينة بالألوان فذابت كل تعاريج البن، استغرق منه الأمر وقتًا طويلًا كان يعمل فيه طيلة اليوم.

نقش اسم حبيبته على كل زاوية وركن فازدادت المدينة بهاءً.

فرح أهل المدينة لكن «حسن» لم يفرح لأن فتاته لم تعُد، لكنه استمر في العمل لم يهتم بالتعب أو بالريح أو قرصات النحل، كل ما أراده أن يصنع صباحًا جميلًا يصلح لاستقبال فتاته عندما تعود إليه كي تصنع له قهوة سيئة الصنع؛ قهوته الخاصة.

مـدينـة القبـلات

لا يوجد قانون يحكم القبلات، المفاجئة منها تحديدًا. تفقد تلك القبلات أصحابها بعد حين، لكنها لا تشيخ أو تذبل، بل تذهب إلى مدينة تدعى مدينة القبلات.

القبلات لا تنسى، تحمل معها شفاه أصحابها، تحيا كظل لشفاه وردية اللون، حزينة الطابع، تعشق الحياة وتفضل الموت.

آخر قبلة ذهبت إلى هناك كان تدعى «شوق»، قبلة يعرف طرفاها أنها بلا مدد أو شيء يجعلها قبلة أبدية.

كانت شوق ذكية، حتى إنها عرفت وحدها أنها قبلة بلا مدد؛ لذا ذهبت من تلقاء نفسها إلى مدينة القبلات، رغم استمرار صاحبيها في صناعة قبلات جديدة.

كان حاكم تلك المدينة رجلًا لا يجيد نطق حرف الثاء، عندما رأى شوق عرف ذكاءها لأنها القبلة الأولى التي تهاجر إلى مدينته قبل تلوثها بالأحزان والذكريات التعيسة، وتعرف مصيرها جيدًا.

عينها الحاكم الذي لا يجيد نطق حرف الثاء كسقاءة.

ذهبت شوق في اليوم الأول إلى بحيرة الشربات، ذاقته فوجدت الشربات مليئًا بالكثير من الملح، أخرجت علبة سكر من رف قلبها، أفرغتها في البحيرة، وظلت تفعل ذلك لعدة أيام.

علم حاكم المدينة الذي لا يجيد نطق حرف الثاء، فأنَّبها على ما فعلته قائلًا: كل شيء هنا يجب أن يكون مالحًا، حتى تنسى القبلات طعم السكر، فهو يعيد إلى الحياة قصصًا ماتت خارج أسوار المدينة مما يجرح القبلات أكثر وأكثر.

لكن «شوق» لم يعجبها الأمر فوضعت السكر مرة أخرى في حلق بحيرة الشربات، عرف الحاكم الذي لا يجيد نطق حرف الثاء أنها عصت أوامره فحبسها في قمقم وألقاها في بحر من الملح.

ظلت شوق داخل القمقم سنين بلا عدد، حتى وصلت إلى شاطئ مهجور كان ذلك الشاطئ المكان السري لولد يتعثر دائمًا في عد النجوم، وكان يلجأ إليه هربًا من قبلته القديمة المفقودة.

وجد الولد القمقم الذي يحمل «شوق»، فتحه، فخرجت منه شوق أجمل من صباح بلا غيوم، كأن بقاءها داخل القمقم عتقها.

ذهل الولد من رؤية قبلة تخرج من قمقم، ذكرته بقبلته المفقودة، بينما ذكرها الولد بولد يجيد التقبيل. تصادقا سريعًا وأصبحت شوق شريكة الولد في شاطئه المهجور.

وعرفت منه أن مشكلته الدائمة هي تعثره في عد النجوم، لكنها علمته السر الذي كان كعادة ما تعرفه القبلات عن الحياة بسيطًا: أن يستلقي فقط على ظهره مسترخيًا، وألا يفكر في أي شيء آخر سوى قبلته المفقودة.

فعلا معًا ذلك، فكانا كلما عدا نجمة تسقط في حجرهما، كانت تعلم دائمًا أن ذلك ليس ولدها الذي يجيد التقبيل، إنما يذكرها بها فقط، وكان الولد يعلم أن تلك ليست قبلته المفقودة، إنما تذكره بها فقط، لكنهما فرحا معًا بالطيران من جديد والنجوم التي كانت تقع في حجريهما، ولم يفكرا في أي شيء آخر.

وذات يوم اصطدمت سفينة تبيع الملح بالشاطئ، فاضطر بحارتها وربانها إلى النزول، مما أفسد فرحة شوق والولد بشاطئهما.

مرت الأيام وراء الأيام، ولم يرحل البحارة والربان بل أنشئوا أسواقًا لبيع الملح امتلأت عن آخرها بالزبائن.

لم يعد الشاطئ مهجورًا، لكن الولد كان يؤمن بأن ذلك شاطئه، لأنه أول من اكتشفه وقرر أن يستعيده ليستكمل لعبة الطيران مع شوق.

أفاق الربان ذات يوم ليجد ملحه كله قد أذابته المياه، لكن الربان كان يجيد السحر وكان غضبه حارقًا؛ لذا جفف غضبه الملح تمامًا حتى عاد إلى هيئته الأولى كملح.

لم ييئس الولد فأطلق طائرات ورقية كثيرة خطفت أربعة زبائن في اليوم الأول ازدادوا إلى سبعة في اليوم الثاني ثم إلى عشرة في اليوم الثالث؛ لذا خاف الزبائن من الاقتراب من السوق، فاستعمل الربان حقده الذي يشبه الغراب، لذا أطلق الغراب ليأكل طائرات الولد الورقية.

لكن الولد لم ييئس وقرر تلك المرة أن تكون حربه مع الربان نفسه، فتسلل إلى أكياس الملح ثم نثره كله في وجه الشمس التي ظلت تعطس وتعطس لمدة ثلاثة أيام، وبعد أن أفاقت قررت أن تنتقم لنفسها من الربان الذي يبيع الملح، فجلدته ثلاثمائة جلدة، لكن الربان كان عمليًّا جدًّا فباع ملح جراحه الذي أسماه بملح الشمس، ولاقى ملح الشمس رواجًا كبيرًا وتهافت الزبائن على شرائه.

قرر الولد أن يستسلم، لكن «شوق» أخرجت برطمان السكر وخلطته جيدًا بالملح، فأفسدت بضاعة الربان إلى الأبد، ولم يعد أحد يشتري منه؛ لذا قرر الرحيل لكنه اختطف «شوق» معه على سفينته.

كانت السفينة قد أبحرت لتسلم شحنة ملح إلى مدينة القبلات؛ المدينة التي طردت منها «شوق»؛ لأنها عصت أوامر حاكم لا يجيد نطق حرف الثاء، تنكر الولد على هيئة بحار وتسلل إلى سفينة الربان، عرف أنه ينوي بيع شوق في بلاد بعيدة بعد أن يسلم شحنته.

وصلت السفينة إلى مدينة القبلات، ووصلوا إلى قصر الحاكم الذي لا يجيد نطق حرف الثاء ليتذوق عينة من الملح، لكنه اشتم رائحة شوق، فعلى الرغم من أنه لا يجيد نطق حرف الثاء فإنه لا ينسى رائحة أبدًا، فسأله إن كانت على ظهر سفينته. فقال له الربان: نعم لكني أنوي بيعها في بلاد بعيدة بثمن يجعلني أعتزل تجارة الملح.

طلب الحاكم أن يراها، ولما جاءت شوق بين يديه قال لها: إن السكر الذي وضعته في بحيرة الشربات، أعاد قصصًا كثيرة إلى الحياة، أغلبها تأذى وماتت قبلات عديدة في المدينة، قصة واحدة منهن هي من نجت لكن القبلات صارت تفضل مصير القبلة الناجية.

أدرك الربان أن الحاكم الذي لا يجيد نطق حرف الثاء سينقذ «شوق» من بين يديه؛ مما كان يعني لديه خسارة أموال كثيرة، فأشهر سيفه ليختطف «شوق»، لكن الولد الذي تنكر على هيئة بحار قذفه بحبة دوم كبيرة في رأسه فخر صريعًا، وأحاطت القبلات بالبحارة ، ففضلوها على الانتقام لربانهم.

قالت شوق للحاكم: أعرف علاجًا يمكنك من نطق حرف الثاء، ثم قبلته قبلة جميلة وتزوجها بعد أن استطاع نطق حرف الثاء، وكانت تلك أول قبلة في حياة حاكم مدينة القبلات، لم يحصل على واحدة من قبل لأنه لم يكن يجيد نطق حرف الثاء.

أما الولد فظل تائهًا في مدينة القبلات، حصل على العديد منها؛ لأنه يجيد التقبيل ببراعة، لكنه ظل دائمًا يبحث عن قبلته المفقودة.

مدينـة المشمـش

أكان ذلك عقابًا، أم شرطًا لإثبات المحبة. لكن الاختيارات من البداية كانت واضحة أمام سلمى وعواد؛ لذا استجابا لشرط أن يحملا الأرض من طرفيها، إن صمدا فسيحصلان على بعضهما في النهاية، ويغيبان معًا في قبلة العشاق الأبدية.

بدأ الأمر عندما استقرت نظرة سلمى في قلب عواد وهي تحاول زراعة المشمش.

سلمى بلا حصون سوى ابتسامة رقيقة لا تثمر، وكذلك عواد بلا حصون سوى أجنحة لا تطير.

لم تكن مدينة «المشمش» مدينة سلمى وعواد تكره المحبين، لكنها كانت تكره محبة سلمى وعواد تحديدًا؛ لذلك أخفيا قصة حبهما عن أعين المدينة المتعطشة للحرائق.

ولتلك الكراهية سبب وحكاية تعود إلى زمن بعيد، فالمدينة نفسها خرجت من حبة مشمش، في قلبها امرأة.

كانت تلك المرأة هي قبلة المدينة، لكن الناس انشغلوا عنها، وظلت تزرع المشمش؛ لذا لعنت المرأة الماء، ولم ينبت المشمش قطُّ في تلك المدينة، ثم فاجأتهم برحيلها عنها.

فريق منهم قال إن المرأة ستعود يومًا إذا ما نجحوا في زراعة المشمش وفريق آخر أنكر وجودها من الأساس، ثم مع الوقت أنكر وجود المشمش وبدأ في حلب الأبقار.

أهل سلمى كانوا يزرعون المشمش ولا يخرج لهم سوى العنب، أما أهل عواد فكانوا يحلبون الأبقار فلا يحصلون أيضًا إلا على العنب، ورغم أن الجميع يحصلون على العنب في النهاية رغم اختلاف الطريق، ظلت تلك الفرقة تمنع الحب واختلاط الأنساب.

لذا عندما عرفت المدينة بحب عواد وسلمى ألقوا أعواد الثقاب في منزل الاثنين، وهي علامة الحرب في مدينة المشمش، لكن سلمى اختفت، بينما ترك عواد مهنة حلب الأبقار، وكاد أهل المدينة أن يقتلوه، لكنه أخرج لهم ثلاث ورقات كوتشينة وبينهما السنيورة، وراهنهم أن يعرفوا أين هي.

اجتذبتهم اللعبة وكان عواد ماهرًا في إخفاء سنيورته، ولم تكن السنيورة سوى حبيبته سلمى التي اختبأت من أعواد الثقاب في كوتشينة عواد.

ربح عواد منهم الأبقار وحدائق المشمش، ولم يحصل أحدهم قطُّ على سنيورة عواد، كانت دائمًا في كمه أو في قلبه.

امتلك عواد المدينة، فكر في الانتقام الذي حذرته منه سنيورته سلمى، لكنه لم يستمع إلا إلى صوت أعواد الثقاب، فرماها في المدينة كلها.

خضعت المدينة لعواد، لكنه زهد في المدينة التي لم تكن بالحب الكافي لتعطيه سلمى.

فرحل بسنيورته ولم يحمل في جيبه سوى شربة ماء، لم تكن تلك المدن التي رحل إليها بالحب الكافي لتعيد إليه سلمى من سنيورة في الكوتشينة إلى هيئتها الأولى.

تعلم عواد السحر لعله يعيد إلى العالم ذلك الحب المفقود، أبهر الناس في موالد الدنيا بقدرته الفذة على إخفاء سنيورته.

لكن في إحدى المرات تقدم إليه ولد سيئ الخلقة والخلق، استطاع أن يخرج السنيورة من كم عواد، أخذها ورحل بعيدًا.

لف عواد أركان العالم الأربعة من أجل استعادة سنيورته، لكنه لم يعثر عليها.

افتتح عواد سيركًا كبيرًا، لكن لم تكن فرقة عواد هي التي تقدم النمر في السيرك بل الزبائن.

كان عواد في كل مرة يتخير زبونًا ويكشف له أنه مهرج بالفطرة؛ لأنه ليس بالحب الكافي ليعيد سلمى.

أحب الزبائن فكرة عواد؛ لأن ما كانوا يبوحون به داخل سيركه كان حقيقتهم التي ينكرونها في الخارج؛ لذا تركوا أنفسهم لأيدي عواد التي حولتهم من زبائن وقورين إلى مسخرة.

حتى دخل الولد سيئ الخلقة والخلق الذي خبأ سنيورته سلمى في كمه إلى سيرك عواد، وتحداه مرة أخرى، وراهنه بالسنيورة مقابل سيركه إن استطاع عواد تحويله إلى مهرج.

كان قلب عواد وقتها ممتلئًا بكل أعواد الثقاب، لكنه لم يشعله في الولد سيئ الخلق والخلقة بل هز قلب الولد بعصاة الساحر فظل الولد ينزف حصى ورملًا، نزف كثيرًا، تسعين يومًا من الحصى والرمل، والناس يضحكون ويضحكون، لكن أفواههم ظلت تخرج حصى ورملًا طيلة تسعين يومًا.

انتشرت العدوى في أركان العالم الأربعة، المدن التي لم تملك الحب الكافي لتعطي عواد لسلمى، طوفان هائل من الحصى والرمل اكتسح العالم، حتى غطى على كل أمجاده وخطاياه السابقة فصار عليه أن يصنع أمجادًا وخطايا جديدة.

استمرت قلوب الناس في النزف حتى فرغ الحصى والرمل فنبتت حبة المشمش في قلوبهم وفي أرض مدينة المشمش.

فلما نبت المشمش في الأرض التي كانت تطرح عنبًا وفي الأبقار التي كانت يحلب منها العنب عادت المرأة التي لعنت ماء المدينة لتفك أسرها من تلك اللعنة، فلم تعد مدينة متعطشة للحرائق؛ لأن الماء كان يطفئها في مهدها.

لكن سلمى لم تعد إلى هيئتها وظلت سنيورة في كم عواد يخبئها عن أعين الناس الذين اضطروا لبناء العالم من جديد.

لكن المرأة أعادتها من جديد إلى هيئتها، وقالت لهما: حبكما قادر على حمل الأرض، لو أثبتما ذلك، فستحصلان في النهاية على قبلة العشاق الأبدية.

فجعلت كل واحد منهما يمسك طرفًا من طرفي الأرض، تحمل عواد لأن حصونه أصبح لها أجنحة تطير وتحملت سلمى لأن حصونها أصبح لها ابتسامة تثمر

المشمش.

أما الأرض فأصبحت أخف واستجابت لزغزغات سلمى وعواد لها، وتعلمت منهما زيارة الكواكب، بل لم تعد تخجل من حبها القديم لنجمة بدعوى أنها الأرض وهي مجرد نجمة وأصبحت بالحب الكافي تمنحهما قبلة العشاق الأبدية.. بعد أن تخلصت من كل هذا الحصى والرمل.

حـاء بسكـر حـعقـود

السكر المعقود.. يخشى الذوبان في الماء.. وذلك لتجربة سابقة مؤلمة؛ لذا كان يكره الماء ويبتعد عنه قدر ما استطاع.

السكر المعقود كان يملك قلبًا كبيرًا.. وكان يزرع به كل شيء، وهكذا لم يحتج إلى أحد.. وعلَّم ما يزرعه أن الماء خطر ؛ لأنه يعني الغرق والذوبان.. وكان يروي مزروعاته بالسكر بدلًا من الماء.

فنشأ التفاح والعنب والجزر في بستان السكر المعقود على الخوف من الماء.

لكن في أحد الأيام قال النهر: لقد تعبت من الجري في بلاد الله؛ لذا قرر النهر أن يجف فتبقت منه بذرة جوافة.. واستقرت في بستان السكر المعقود.. لم يشعر بها أحد.. كادت أن تشعر باليتم لولا احتضان نخلة عالية لها وإخفاؤها إياها عن أعين السكر المعقود.. نشأت بذرة الجوافة وسط حبات العنب.. لكنها لم تكبر قطُّ.. كانت تحتاج إلى أبيها النهر.. ثم إنها شعرت بالغربة ولم تعرف كنهها: هل هي بذرة جوافة أم حبة عنب؟

كبرت حبة الجوافة بعد أن تعودت أن تُروى بحنان النخلة العالية التي كانت تربي العنب بدلًا من التمر.. لكنها ظلت دائمًا تشتاق إلى الماء.

حبة الجوافة التي اضطرت إلى التصرف كحبة عنب، كانت جميلة. والجمال يبعث على شيئين: الانضمام تحت لوائه أو الغيرة منه.

لذا كرهتها حبة عنب أخرى؛ لأن النخلة العالية أوصت لها ببيت كبير وبأن ترثها بعد موتها.. فقامت حبة العنب بدفع حبة الجوافة إلى الأرض.

وقعت حبة الجوافة الوحيدة.. لم تدر ماذا تفعل.. احتارت كثيرًا.. ونادت على النخلة العالية لكنها لم تسمعها.. ولأن القاعدة الأولى في الحواديت هي: عندما لا تدري ماذا تفعل، فارتجل أو ابدأ بالغناء.. فقد ارتجلت حبة الجوافة أغنية؛ أغنية تليق ببستان السكر المعقود.. استمعت إليها الفواكه والخضراوات التي يزرعها السكر المعقود.. فأصبحت أجمل ونمت بسرعة فائقة حتى إن التفاح صار بحجم بطيخة.. والعنب أصبح يشبه حبات الجوافة.. استمع السكر المعقود أيضًا إلى أغنية حبة الجوافة التي أصبحت أغنيات. في البداية أحس بالانسجام، ثم أخذ في البكاء، ثم سرعان ما أعتدل وغنى معها.

لم يعرف السكر المعقود مصدر الغناء قطُّ؛ لأن حبة الجوافة ظلت محتمية بجريدة ساقطة من النخلة العالية التي اعتبرتها حبة الجوافة أمها الجديدة.. بينما كانت النخلة العالية تستمع معجبة بمواهب ابنتها.

حتى أتى يوم غنت فيه حبة الجوافة أغنية في حب الماء.. كانت تتحدث عن جماله وعن جمال الذوبان.. فغضب السكر المعقود.. وفتش عن حبة الجوافة التي تغني للماء.. بدت على وجهه علامات الرعب وأحس بمشاعر متناقضة، فقد كان يخشى

الموت والحياة في آنٍ واحد.

وجد السكر المعقود حبة الجوافة مختبئة تحت جريدة النخلة.. فاندهش لأنه لم يزرع الجوافة قطُّ.. لكنه وجدها تتصرف كحبة عنب.. وفطن إلى أن النخلة العالية هي من خبأت حبة الجوافة التي تهدده بخطر الماء.. فقرر أن يقتص من النخلة العالية.. وطرد حبة الجوافة من بستانه.

خرجت الجوافة من بستان السكر المعقود.. ولما لم تعرف حبة الجوافة ماذا تفعل، ارتجل لها صانع الحواديت مطرًا سخيًا.. ظلت حبة الجوافة تشرب وتشرب حتى ارتوت.. فظلت تغني أغاني أجمل وأجمل في حب الماء.. لكنها صارت تشتاق إلى بستان السكر المعقود وبيتها النخلة العالية.. حملت الحوريات أغنيات حبة الجوافة إلى بستان السكر المعقود.. وكانت أغنياتها هذه المرة أرق وأعذب حتى إن التفاح والعنب والجزر أحسوا بالاشتياق إلى الماء الذي تغني له حبة الجوافة.. وبدءوا في التمرد على السكر المعقود.. وأخذوا في ترديد أغنيات الاشتياق إلى الماء.. كاد السكر المعقود أن يجن.. لكنه استمر في مكابرته.. ثم طرد التفاح والعنب والجزر من قلبه.. قال لهم:اذهبوا إلى مائكم.. فلتغرقوا وتذوبوا.. ثم بنى مكان النخلة العالية قصرًا من ذهب.. لكن القصر ظل دائمًا مهجورًا.. ظلت الأغاني تتردد في جنبات البستان المهجور.. أغنيات تقودها حبة الجوافة ووراءها التفاح والعنب والجزر.

اختبأ السكر المعقود داخل قصره؛ حتى لا يستمع إلى تلك الأغنيات، وأقنع نفسه بأنه سعيد ولا يحتاج إلى أحد سوى نفسه.

لم تكن الأغاني بالفعل تصل إليه.. لكن الأغاني صارت نهرًا.. ذات النهر الذي قرر من قبل أن يجف.. لما صحا ذلك النهر ليلتمس الدهشة الأولى لوجوده، رأى البستان المهجور.. فاندفع بقوة بكارته الأولى إلى بستان السكر المعقود حاملًا معه التفاح والعنب والجزر وحبة الجوافة.. فوجئ السكر المعقود باندفاع ماء النهر نحوه.. شعر بالخطر وقرر أن يدافع عن حياته وموته.. لكن اندفاع الماء كان أقوى فاحتوى السكر المعقود الذي استسلم تمامًا للذة الذوبان.. كان الأمر مدهشًا.. حتى إن السكر المعقود صار يغني هو الآخر للماء ويرقص.. لم يجرب هذا الإحساس من قبل: إنه لا يخشى الموت ولا الحياة.

عاد البستان إلى بهائه الأول، وكان طعم التفاح والعنب والجزر ألذ لأنهم سقوا من ماء بسكر معقود.. أما حبة الجوافة، فسلمها السكر المعقود وصية النخلة العالية بأنٍ ترثها بعد موتها.. ولأن النخلة العالية صارت قصرًا من ذهب، فقد أصبح القصر ملكًا لحبة الجوافة التي علمت السكر المعقود لذة الذوبان.

حسـان وهـاجـر

في شارعنا يوم اسمه يوم الهجر.. ورغم أن اسمه الهجر فإنه اليوم الذي يجتمع فيه العشاق الذين هجروا بعضهم بعضًا لاستعادة يوم من أيام محبتهم.. يتقدمون لاختبار قد يمكنهم من العودة بعد أن يمروا باختبارات قاسية يجريها ظل وحيد أبيض. ويفشلون كلهم في الاختبار إلا اثنين كل عام.. نهديهما بلحًا وفستقًا، ونحتفل بهما، وتُلبي لهما أمنية، وتصعد بهما الجنيات إلى جنة أخرى لا يعرفها سوى الناجين من قسوة اختبار الظل الأبيض.

استعد «حسان» جيدًا لهذا اليوم.. كانت «هاجر» قد تركته منذ وقت بعيد.. كنا جميعًا نتمنى أن يفوز ويصعد بهاجر مع الجنيات إلى جنة العشاق تلك.

كانت «هاجر» فتنة شارعنا وبهجته، وكانت خفيفة الدم وقادرة على إضحاك طوب الأرض.. حتى وقعت في غرام «حسان» الذي كان يؤنبها كثيرًا على خفة دمها قائلًا: لا أرغب في فتاة خفيفة.

لكنه رغم ذلك كان ولدًا ودودًا يعرف حكايات الجنيات كلها، وكانت الجنيات تحبه لأنه ما زال يذكرهن ويحيي سيرتهن التي طمسها تكدس التفاصيل. وكان «حسان» يذهب يوميًّا إلى أراضٍ بعيدة ليعود إلينا بالحكايات، لكنه لم يصحب هاجر يومًا رغم توسلها إليه أن تذهب معه.

كنا نحب أن نرى هاجر و«حسان» معًا، فقد كان «حسان» رغم صلفه، يحبها بلا حدود.. لكنه كان ينسى دائمًا أن يكتفي بكلمة «أحبك»، وكان يضيف إليها كلامًا سخيفًا عن رغبته في أن تكف هاجر عن إضحاكنا.

تركته في النهاية، وسافرت مع أهلها إلى شارع آخر في أرض أخرى.. حتى أتى يوم «الهجر» فعادت هاجر للمرة الأولى منذ عام، وجلست بجوار «حسان» واصطف بجوارهما كل العشاق الذين هجروا بعضهم بعضًا في انتظار مجيء ظل وحيد أبيض.

جاء الظل ممتطيًا سحابة وفي يده جريدة وبصحبته جنيات وظلال عديدة، فأطفأ الشمس بيديه، وجلس على عرشها ثم مد يده إلى القمر وعكسه على نفوس العشاق، ثم قال: «ضوءكم ضعيف».. ثم مر بالقمر على كل عاشقين حتى وصل إلى «حسان» و«هاجر» فأضاء القمر كأنه الشمس.. فمد الظل يده وثبت القمر في مكانه، ثم قال: كانت الرحلة من حافة العالم إلى هنا مرهقة؛ لذا سنكتفي باختبار واحد.. من يستطع إضحاك حبيبته فسيفوز بها.

ضجر العشاق من طلب الظل الغريب، فتشاجروا مع بعضهم بعد أول خمس دقائق.. إلا «حسان وهاجر». فأمر الظل الأبيض الجنيات والظلال أن يذهبوا بالعشاق الباقين إلى بئر الذكريات التعيسة، كانت تلك البئر بئرًا خالصةً من الصراخ، وأمر أن يتقدم إليها «حسان وهاجر»، ثم سأل حسان: لِمَ تتشاجر مع هاجر كالآخرين؟ فرد «حسان»: لأننا تشبثنا معًا بذكرى جميلة.. حدث ذلك في يوم ممطر.. كانت هاجر خائفة ومبتلة كعصفور.. وكنت وقتها في أراضٍ بعيدة أجمع

حكايات عن الجنيات.. كنت بعيدًا عنها جدًّا يا سيدي.. لكن ما إن لفظت «هاجر» باسمي حتى حملتني إليها الجنيات في لحظات.. سرنا معًا تحت المطر مبتليْن كعصفورين حتى إنه وقتها نبت لي جناح واحتضنتها به.. لكن «هاجر» كانت تأخرت جدًّا على موعد عودتها إلى بيتها، فأحضرت لي الجنيات عربة لها أربعة خيول، اثنان يطيران واثنان يعزفان الموسيقى، وطرنا حتى منزلها.. لكن الأجمل يا سيدي أننا حظينا معًا بأول قبلة. قبلة لها طعم الملبن.. لم تفارق تلك القبلة فمي قطُّ.

قال الظل: إذن فليبدأ الاختبار.. لقد حرمت الشارع من قدرة «هاجر» على الإضحاك ؛ لذا عليك أن تضحك «هاجر».

كاد «حسان» أن يعترض في البداية، كان يرغب في أن يحكي حدوتة؛ لأنه يجيد الحكي ولا يجيد الإضحاك، فقال: ولم لا تفعل هاجر شيئًا؟

فقال الظل الأبيض مبتسمًا: لأنك من أغضبتها.. ولأنها جميلة، ثم رفع الظل هاجر بجواره على عرش الشمس آمرًا «حسان» أن يبدأ.. كاد «حسان» أن يضرب الظل لغيرته من جلوس هاجر بجواره، إلا أنه امتثل لأن ضوء قلبه صار أصفى وأكثر قدرة على إضاءة القمر بنور يشبه الشمس.

نظر «حسان» إلى طوب الأرض وعيال الشارع المجتمعين، وشعر في البداية بالحرج، ثم قال: مر أحد البخلاء على سوق سمك فسأل البائع: بكم السمكة؟ فقال البائع: بريال فضة.. فأخرج البخيل من يده تعريفة صدئة وقال للبائع: سأستعير السمكة لأصنع عليها حساء وأعيدها إليك.

لاقت نكتته السخيفة صفيرًا حادًّا من طوب الأرض استهجانًا، وامتعضت هاجر، وقال الظل الأبيض: يبدو لي أنني سأقذف بك إلى بئر الذكريات التعيسة.

لكن «حسان» سارع بإلقاء نكتة أكثر سخفًا عن ولد كلما أهدى حبيبته باقة ورد تحولت على يديه إلى قالب طوب.

امتدت يد الظل الأبيض كي يقذف «حسان» في بئر الذكريات التعيسة.

لكن «حسان» جرى من الظل الأبيض الذي نزل عن عرش الشمس ليطارده.. فتسلق «حسان» شجرة فصعد الظل وراءه.. لكن «حسان» نظر للجنيات اللواتي كن يحببنه لأنه حمى سيرتهن من أن يطمسها تكدس التفاصيل .. فأعطته الجنيات علبة ألوان رسم بها شاربًا للظل الأبيض، ثم نزل «حسان» من الشجرة، فنزل الظل الأبيض وراءه وظلا يجريان وراء بعضها، فرسم «حسان» حبلًا، فتعثر الظل الأبيض الذي قام وعلى وجهه علامات الغضب ثم أمر الظلال التابعة له بأن تقوم بتكتيف «حسان» وإلقائه في بئر الذكريات التعيسة، لكن «حسان» صفَّر للقمر الذي اكتسى بنور كالشمس لما انعكس على قلب «حسان»، فأخذ القمر سلة بيض في يد امرأة عجوز وقذفها على وجوه الظلال، فأفلت منهم «حسان» ثم صعد إلى عرش الشمس بجوار هاجر قائلًا: لقد ضحكت هاجر.. انتصرت.. كانت هاجر بالفعل غارقة في الضحك.

مسح الظل الأبيض صفار البيض من على وجهه، وأزال الشارب الملون، ثم نظر إلى «حسان» نظرة غاضبة حتى إننا تصورنا أنه سيقوم بتقطيع «حسان» إربًا.. لكنه

فجأة غمز لـ «حسان» وغرق هو الآخر في الضحك.

هللنا جميعًا لـ «حسان وهاجر» وأهديناهما بلحًا وفستقًا، واستعدت الجنيات لحملهما إلى جنة زارها «حسان» من قبل وحيدًا، لكنها المرة الأولى التي يصطحب فيها هاجر معه.

قال الظل الأبيض لـ «حسان وهاجر»: من حقكما الآن أن تتمنيا أمنية.. فقالا: أن تُخرج العشاق الذين هجروا بعضهم بعضًا من بئر الذكريات السيئة، فأمر الظل الأبيض بإخراجهم على أن يعودوا العام القادم للاختبار ..

أما نحن -عيال الشارع وطوب الأرض- فقد ظللنا نضحك ونلعب مع الظل الأبيض والجنيات والقمر والظلال حتى الصباح، ولوّحنا بالمناديل لـ«حسان» وهاجر وهما يصعدان معًا إلى الجنة ليستعيدا قبلة من ملبن.

المطبعة المهجورة

الحب هو صانع الروائح.. قال السيد السيد صاحب المطبعة المهجورة قبل أن يموت: الرائحة هي ما ستحفظ هذه المطبعة.. ثم ذهب السيد السيد إلى جنة الله تاركًا رائحة مطبعته؛ رائحة كانت تحتاج إلى الحب.

لم تكن المطبعة المهجورة كذلك في عهد السيد السيد.. لكنها كانت مطبعة فاخرة، أهم مطبعة في المدينة.. ولم تكن تكتفي بطباعة الكتب.. كانت تطبع أيضًا الأحلام والقبلات والهدايا.

كان السيد السيد يهدي الأحلام المطبوعة بلا مقابل.. وكان حلمه الأكبر أن يطبع ملايين النسخ من حلم الطيران ويهديها للناس في أركان العالم الأربعة.. لكنه لم يجد مؤلفًا جيدًا لذلك الحلم ولم يكن معه المال الكافي لطباعته.

وكان يحتفظ بنسخة من كل كتاب وحلم وقبلة طبعها في مخزن مسحور لم ينجح أولاده ولا أحفاده في اكتشافه.. وفشلوا جميعهم في إدارة المطبعة؛ لأنهم فضلوا عليها البقالة وكان عليهم قبل ذلك أن يتمسكوا بالحب لاكتشاف الرائحة.

كانت المطبعة هدية من ملك أصلع تعثر في حذائه.. فظل الملك يدور ويدور حول نفسه بينما حذاؤه يضحك.. لذا رحل الملك إلى مدينة السيد السيد بحثًا عن علاج يؤدب حذاءه.. وكان السيد السيد يعمل صبيًّا لإسكافي.. وكان السيد فاشلًا في مهنته ولا أمل منه وكثيرًا ما كان ذلك الإسكافي يضربه بقسوة لخيبته العظيمة في تصليح الأحذية.. وكان الملك قد لف العالم من أجل تصليح حذائه.. حتى وصل إلى مدينة السيد السيد وأعلن عن مكافأة عظيمة لمن يصلح الحذاء.. تقدم كل من في المدينة للحصول على المكافأة واصطحب الإسكافي السيد السيد كي يحمل معه العدة.. فشل الجميع في إصلاح حذاء الملك حتى الإسكافي.. لكن السيد السيد الذي لم يكن يملك موهبة تصليح الأحذية قدر ما كان شجاعًا.. طلب أن يجرب حظه ولم يعبأ بسخرية الإسكافي.. لم يعبأ بـ (سوى) اكتشاف حظه.. اقترب السيد السيد من الحذاء المتمرد على مولاه ثم تحدث للحذاء وسط سخرية الناس.. لكن السيد السيد ظل قرابة الساعة يتبادل النكات والأحاديث مع الحذاء تاركًا الملك يدور ويدور حول نفسه.. ثم رفع رأسه قائلًا للملك: يا سيدي، إن الوضع مقلوب.. وهذا الحذاء هو الملك وأنت الحذاء.. كاد الإسكافي أن يضرب السيد السيد مرة أخرى لوقاحته في الحديث مع الملوك.. لكن الحذاء كان قد أخبر السيد السيد بالسر.. فطلب إلى الملك أن يضع الحذاء فوق رأسه.. فلما فعل الملك شعر براحة أكبر ثم قال: الآن تذكرت، أنا في الأصل حذاء لملك أصابته لعنة بسبب تمزيقه أحذية الناس بتحريض مني لأني كنت أرغب في أن أصبح أجمل حذاء في المدينة فعوقب الملك بأن صار حذاء وعوقبت أنا بأن صرت ملكًا.. لكن اللعنة تزول إذا ما تذكرت.. وبالفعل عاد الحذاء إلى هيئته ملكًا أصلع بينما الملك عاد إلى هيئته كحذاء.. شكر الملك الأصلع السيد السيد وأخرج له مكافأته التي أصابت الجميع بخيبة أمل إلا السيد السيد.. فقد كانت المكافأة عبارة عن علبة خشبية صغيرة.. فرح بها السيد السيد؛ لأنها مكافأة

حظه ولم يعبأ بسخرية الإسكافي بل صفعه تلك المرة صفعة تساوي كل المرات التي ضربه فيها الإسكافي.

لم يدرك السيد السيد ما الذي ينبغي عليه فعله بالعلبة الخشبية ثم اكتشف زمبركًا.. لما لفه.. تضخمت العلبة الخشبية.. صارت مطبعة لها رائحة مميزة، رائحة ينقصها الحب لاكتشافها.

ولما مات السيد السيد.. أصبحت المطبعة مهجورة وكان عليها أن تنتظر مائتي عام قبل أن تأتي توتة لتعرف رائحة الحب؛ الرائحة التي قال عنها السيد السيد إنها ستعيد إلى المطبعة بهاءها.

اهتدت توتة إلى الزمبرك الذي يعود بالمطبعة إلى الحياة.. وما إن دلفت من الباب حتى وجدت التراب قد تحول إلى مكنسة وظل يكنس الهجر عن آلات المطبعة.. بينما خرج جني الحبر وملأ الآلات بالحبر بينما يهدي توتة التفاح عمت البهجة على كائنات المطبعة الصغيرة.. وقام ولد يعيش في كتاب بتلوين المطبعة.. وبعد عشرة أيام خرجت توتة وعلقت لافتة «مطبعة توتة».

لكن عمها كان طماعًا، ورغم أن المطبعة لم تلفت نظره قطُّ فإن حالها الجديد أغراه بامتلاكها؛ لذا حاربها كثيرًا.. فكانت كلما طبعت كتابًا أكله غراب أسود.

قاومت توتة كثيرًا لكن الغراب كان أقوى من مقاومة توتة.. لكن خرجت إليها جنية من كتاب وساعدتها على تعلم سحر يقيها شر الغراب.

لجأ العم إلى ساحرة أكثر دهاءً منه فقالت له: إذا اختفت رائحة الحب فستتوقف المطبعة عن العمل فتشتريها من توتة.

فأرسل العم وردة إلى توتة؛ وردة قادرة على إفساد الروائح – إذا لم تعد توتة تشم رائحة الحب فتوقفت المطبعة عن العمل.. حاولت إعادة الحياة إلى مطبعتها لكنها فشلت.. نامت متعبة فحلمت بجدها الكبير السيد السيد الذي أخبرها بمكان المخزن السري الذي احتفظ فيه بنسخة من كل كتاب وحلم وقبلة قام بطبعهم وأخبرها بحلمه الكبير بطبع ملايين النسخ من حلم الطيران وأوصاها بتحقيقه.. قامت من نومها وتوجهت إلى مكان المخزن فتحته.. طارت آلاف الكتب والأحلام والقبلات لترى توتة.. لكن كتابًا واحدًا اختطفها وأدخلها في حلم.. حلم طويل منسوج على مهل.. وجدت نفسها داخل كتاب يتحدث عن غابة.. واجهت توتة إعصارًا كبيرًا جعلها تختبئ في حضن ولد يركب حمارته العرجاء ويحمل رائحة الحب.. لكن توتة لم تعد تشم تلك الرائحة.. لما انتهى الإعصار ركبت مع الولد فوق حمارته العرجاء.. سخرت من حمارته.. لكنه قال لها: لكن تلك الحمارة قادرة على الطيران إلى قرص الشمس.. سخرت أكثر وأكثر.. لكنه طار بها ثم تركها مع سناجب فوق شجرة تحاول تعلم الطيران.. ثم طار الولد بحمارته العرجاء وكان يصطاد أجنحة الفراشات ويجمعها في قلبه.

بينما ظلت توتة تشاهده وتحاول تعلم الطيران مع السناجب، علمتهم وضع الكحل بشكل جيد.. لكن السناجب كانت ترغب في الطيران كما يطير الولد بحمارته العرجاء.. وفي يوم جاء ثعلب وحاول أكل توتة والسناجب.. ولم يكن يملك سوى

إقناعهم بترك حلم الطيران لينزلا من فوق الشجرة.. ولأن توتة لم تعد تصدق رائحة الحب فلم تكن تصدق حلم الطيران؛ لذا نزلت من الشجرة مع السناجب.. لم يكن الثعلب سوى عم توتة الذي أراد أن يخرجها من الكتاب لأنه لم يعرف كيف يدير زمبرك المطبعة.. خرجت توتة من الكتاب مع السناجب.. لكنها لم تستطع إعادة الزمبلك.. فتركها عمها ونسي أمر المطبعة.

حزنت توتة؛ لأنها لم تستطع تحقيق حلم جدها لكن ذات يوم وجدت الولد الذي يطير على حمارة عرجاء يحلق في المدينة بأجنحة الفراشات.. كان يشرب من ضوء الشمس.. ثم هبط إليها وقبلها ليعيد إليها رائحة الحب.. ثم عاد إلى الكتاب ليجمع المزيد من أجنحة الفراشات.. صدقت توتة في حمارة الولد العرجاء.. لكنه كان قد رحل في كتاب يتحدث عن حلم الطيران فقامت توتة بطبعه فقامت أول نسخة بالطيران.. فظلت توتة تطبع وتطبع نسخًا بلغت الملايين من كتاب يطير في أركان العالم الأربعة وكلما نفد حبر المطبعة.. كانت رائحة الحب تملؤها من جديد.

ظـل وحيـد أبـيـض

للظلال قناعة دائمة بدورها في صناعة البهجة وإقامة العدل وتزويج البنات الدميمات واستنطاق الأحلام لتصير حياة حقيقية.

وأنا كظل وحيد أبيض أراهن دائمًا على المنبوذين والحمقى والمجاذيب والأطفال والخاسرين في لعبة الدومينو، فهم أكثر الناس تعلقًا بالرؤى، وأنا كظل أبيض لا يراني سوى منبوذ أو أحمق أو مجذوب أو طفل. أما الخاسرون في لعبة الدومينو فهم لا يروننني أبدًا ولكنهم أقرب من غيرهم إلى ذلك، ولا أظهر لهم إلا إذا استفحل الأمر وكان لابد من مكسب ما على متنطع يفوز دائمًا.

أنا الظل الأبيض سليل الحق والباطل والنور والظلمة.. أصنع البهجة وأقيم العدل وأزوج البنات الدميمات وأستنطق الأحلام لتصير حياة حقيقية كما أني جدير بألقاب أخرى.

أهمها أني صانع جيد لسلال ذهبية، سلال لموسم حصاد القمح، أفضل أعوامي هي أعوام الجدب، أصنع سلالي في تلك الأعوام بمزاج أجمل وخيال أرق، رغم أنه لا قمح هنالك للحصاد.

تبني الظلال سمعتها على قلة حيلتها وخضوعها الدائم، على عبوديتها الظاهرة للبدن، هكذا حالفها الحظ والغفلة فمنحها الخلود.

وحدها الظلال تقيم بعد موت أصحابها في الزوايا والأركان، في الرؤى والأحلام، تتقمص الحكايات وتعيد روايتها بعد استبعاد الهائش وغير الضروري من سيرة أصحابها.

وللظلال عيد وحيد تتجمع فيه من مختلف الأقطار والأزمنة..

في موعدين لا يتبدلان.. عند كسوف الشمس أو خسوف القمر ..

ولهذا العيد حكاية، بدأت معه سيرتي الحقيقية كظل وحيد أبيض، وبدأت معه السيرة الحقيقية للظلال، كان ذلك منذ أمد بعيد.

كان لصاحبي بدن سميك وروح لا تعترف بكرامات المجاذيب وحكمة الحمقى، كان صانع سلال فقير الخيال يدعى عمران.

ورث عمران عن أبيه دكانًا له زركشة، وكان فقر خياله سببًا حقيقيًّا لفقر جيبه.

لم أكن حينها سوى ظل عادي أسمر، اتبع ما يمليه على بدن صاحبي الذي بلى عقله بخيال فقير وبلى زمنه بجدب ساطع كحقيقة أزلية، فلا أحد سيشتري سلة لجمع القمح ولا قمح هنالك.. ولم يكن هناك شيء يلوح في الأفق سوى الجدب..

لم يتردد على دكان عمران سوى امرأة عجوز لها أسنان خربة ووجه مزعج، كانت تجيئه كل يوم لتشتري سلة، وتترك له قروشًا قليلة كانت هي آخر أسباب الرزق لدى عمران.

لم يكن يسأل – لفقر في خياله ولفقر في جيبه أيضًا – عن سر مجيئها اليومي لشراء سلة قمح، رغم أنه لا شيء يلوح في الأفق سوى الجدب. حتى جاء يوم لم تمر فيه العجوز على دكان عمران، لم يمر أحد سوى الجوع، ولم يكن يشتري شيئًا، كان فقط يخرج لسانه لعمران ويقرص بطنه، لكن عمران لم يكن يرد على استفزاز الجوع له، فهو في رأيه شخص كافر يجب ألا يستجيب المرء لترهاته المستفزة.

مر يومان وثلاثة وأربعة والجوع يزداد بطشه بعمران واستفزازه الذي اتخذ أشكالًا عجيبة، فكان الجوع يقيم ولائم شهية أمام دكان عمران ولا يدعو أحدًا، ويقيم أفراحًا لا ينتهي فيها الطبل والزمر ورقص الخيول، كان ذلك أكثر مما يتحمله عمران، فتعارك مع الجوع عراكًا شديدًا تمزق فيه قميصه الوحيد، لكن الجوع كان أقوى في بنيته من عمران، فوثب فوقه وبطحه أرضًا واستتب له الأمر فوق صدر عمران وظل يكيل له اللكمات.

اجتمع الخلق يشاهدون عمران والجوع يضربه، حتى صرخ عمران في وجه الجوع «أنت كافر»، سكن السوق تمامًا.

انسحب الجوع خجلًا ، أما الناس ففرحوا بعمران الذي ألصق بالجوع كلمة الكافر، حتى إنه لم يزر المدينة لفترة طويلة لم يعرف أحد فيها الجوع.

اشتهر دكان عمران؛ فقد كان الناس يأتون من كل حدب لمشاهدة عمران الرجل الذي هزم الجوع ويشترون سلاله للتبرك، فاغتنى جيب عمران، لكنه فعل كما كان يفعل الجوع معه، أقام ولائم شهية أمام دكانه دون أن يدعو أحدًا.

كنت أسرق من ولائمه وأعطي الفقراء، لم يلاحظ عمران إلا أن الناس أصبحت تلعنه وتدعي لظله.

ظل الأمر على هذا المنوال حتى اكتشف «عمران» الأمر فأقسم عليَّ ألا أبيت ليلة واحدة وألا أكون ظلًا له.

وهكذا مشيت في البلاد بلا جسد لكني بقيت حيًّا، أما عمران فأصبح بلا ظل ولم يتحمل جسده ذلك طويلًا ومات، وهكذا عشت كظل وحيد أبيض. قلت أبحث عن جسد، لكني وجدت نفسي في مدينة يحكمها ملك يدعى «أشرق البدر» وكان ملكًا عادلًا يوزع بنفسه حبات القمح على الناس بالعدل، وكان معه ميزان يضع عليه القلوب فإن كانت ممتلئة بالخير أعطاها قمحًا كثيرًا، وإن كانت ممتلئة بالشر أعطاها القليل.

وكان لأشرق البدر ابنة تدعى «سندس»، وكانت سندس جميلة لكنها بلا أطراف وكانت عاجزة عن النطق.

فقلت أكون ظلًا لها لأن أباها رجل طيب فحملتها وسرت بها في المدينة فتعجب الناس من الجميلة التي يحملها ظل وحيد أبيض.

لكن الجوع عرف خبري فجاء إلى المدينة التي لم تعرف الجوع من قبل جاء لينتقم من ظل «عمران» آخر ما تبقى منه.

تناقل الناس الأمر وقالوا: «ماعرفنا الجوع سنوات طويلة.. ولكنه جاء على يد الظل

الأبيض» وطالب البعض برأسي أو أن أرحل من المدينة.

قلت أرحل، لكن «أشرق البدر» رفض بعد أن جلبت البسمة إلى ابنته سندس.

حتى فاجأه الجوع في مجلسه وهدده إن لم يسلمني له سيحرق حبات القمح ويحيل قلوب الناس من وطأة الجوع إلى أشرار يتقاتلون.

فقال له «أشرق البدر»: فلتتبارزا في الساحة وإذا هزمته فهو لك وإذا هزمك فقد خلصنا من شرك.

لبست درع الحرب الخشبية وحملت سيف الملك «أشرق البدر» وتركت سندس في الشرفة، لكن قبل أن أتركها وجدتها تقول «أستطيع النطق منذ أعدت لي البسمة» ثم همست في أذني بكلمات وطلبت مني أن أرددها عندما أبارز الجوع.

وعندما نزلت لمبارزته، همست بالكلمات فانكسفت الشمس وانخسف القمر.. وأظلمت المدينة.

فلم يجدني الجوع الذي ظل يبارز الهواء حتى أرهق، إلا أن «سندس» ابتسمت، وكان لابتسامتها ضياء، ضياء يكفيني لأعود ظلًّا من جديد، فلما ضحكت تحركت ظلال الناس التي ظلت تردد للجوع: «أنت كافر.. أنت كافر» حتى صمت أذناه وهرب ولم يعد من وقتها، فهلل الناس، وأمر أن أتزوج من ابنته «سندس».

وفي يوم زفاف ظل أبيض على عروس بلا أطراف، قال رجل مُسن لسندس: تعود إليك أطرافك إذا قبلك ظل وحيد أبيض، فلما قبلتها عادت إلى هيئتها الكاملة.

فأعطاني «أشرق البدر» صُرَّةٌ من المال فتحت بها دكانًا لصناعة سلال ذهبية؛ سلال لموسم حصاد القمح، لكن ظلت أفضل أعوامي، أعوام الجدب كنت أصنعها في تلك الأعوام بمزاج أجمل وخيال أرق.. رغم أنه لا قمح هنالك للحصاد.

رقصة الطام طاطام

كان مهند ولدًا يجيد الرقص خاصة الرقصة التي أسميناها في شارعنا رقصة «الطام طاطام». كان يجيدها بشكل مذهل حتى إن العنب كان يقفز من البهجة إلى أفواهنا وكانت القطط تراقص أعمدة الإنارة.. لكن «مهند» ذات يوم شعر أن العالم كريه ولم يعد يستحق أن يرقص له رقصة «الطام طاطام».

في الواقع كانت أسباب مهند بليغة، فقد طرده الجزار من العمل لأن ابنه كان يغار من قدرة مهند على رقص «الطام طاطام».. كما أن أمه هربت إلى العالم الآخر بصحبة ملائكة وهو الأمر الذي اعتبره مهند أنانية منها لأنها تركته وحده في هذا العالم القاسي لتنعم بما كانت تحكيه له عن الجنة؛ الملاذ الأخير للضعفاء في العالم.

«كان الأولى أن تأخذني معها».

لذا قرر مهند أن يهرب من العالم وأن يحرمه من رقصة «الطام طاطام»، سأل مهند الرجل الذي يشوي الذرة على ناصية شارعنا عن حافة العالم ليقفز منها هاربًا من العالم السيئ، وكان الرجل حكيمًا هاربًا من أتباعه وتخفَّى على هيئة بائع ذرة.

فقال له بائع الذرة: هناك عند مدينة يسكنها ظل وحيد أبيض يصنع سلالًا ذهبية لموسم حصاد القمح.. لكن احذر! إذا توقفت لحظة فسيأكلك الوقت. وأعطاه ثلاثة أكواز من الذرة قائلًا له: كلما تعبت اقضم منها.

أخذ مهند الأكواز الثلاثة وظل يجري بلا توقف نال منه التعب كثيرًا لكن رؤية جماجم لأناس أكلها الوقت؛ لأنها توقفت أثناء رحلتها إلى حافة العالم كانت كفيلة بأن تجعله يجري وكان كلما تعب أكل قضمة من أكواز الذرة الثلاثة فكان يعود إلى نشاطه كأنه لم يكن يجري لتوه.

لما وصل «مهند» إلى ظل وحيد أبيض يبيع السلال الذهبية لموسم حصاد القمح تأكد أنه وصل إلى حافة العالم.

فمشى مهند في المدينة حتى وصل إلى منطقة سوداء عرف أنها نهاية العالم وما عليه إلا أن يقفز ليهرب من هذا العالم القاسي.

لكنه وجد سبعًا كبيرًا يعرف كيف يزأر ولا يعرف كيف يرقص فقال له مهند :«أعلمك رقصة اسمها الطام طاطام وتتركني أعبر؟».

فقال له السبع: لا أحب الرقص لأني لا أجيده؛ لذا سآكلك.

وقبل أن يشمر السبع عن أنيابه ليأكله كان مهند قد بدأ بالفعل في رقص الطام طاطام التي أذهلت السبع الذي طلب منه أن يعلمه الرقصة فعلمه مهند إياها حتى صار السبع راقصًا ماهرًا لرقصة الطام طاطام وترك مهند يعبر.

فلما عبر مهند من السبع وجد تنينًا ضخمًا يجيد نفث النار ولا يجيد الرقص فقال له مهند: «أعلمك رقصة اسمها الطام طاطام وتتركني أعبر؟».

فقال له التنين: نفث النار أجمل من الرقص.

وقبل أن ينفث التنين النار في وجهه كان مهند يرقص الطام طاطام فوجد التنين أقدامه تتحرك على إيقاع الرقصة حتى أجادها وأحبها فترك مهند يعبر.

فلما أفلت مهند من نار التنين وجد ثلاثة أقزام يتعاركون، فلما سألهم مهند عن سبب عراكهم قال له أكبرهم: نتعارك لأن شقيقنا الأصغر لا يجيد أي شيء سوى الشخير ويهرب من دوره في حراسة حافة العالم.

فجرح مهند إصبعه ثم قربه من شقيقهم الأصغر الذي لعق قطرات الدم فانتقلت إليه موهبة مهند في الرقص خاصة رقصة الطام طاطام.

فانشغل القزمان بالرقص المذهل لشقيقهما ولم يلحظا مهند الذي قفز من حافة العالم هاربًا من قسوته فوجد ثلاث جنيات يرتدين تنورات جميلة ويحملن شموعًا طويلة.

قالت له الأولى: «لقد صنعت مدينة عندما علمت السبع كيف يرقص».. ثم أهدته وردة.

قالت له الثانية: «لقد امتلأت تلك المدينة بالبشر عندما علَّمت التنين أن الرقص أجمل من نفث النار» ثم أهدته قبلة.

وقالت له الثالثة: «لقد صنعت عالمًا عندما أعطيت القزم موهبتك في الرقص.. لقد ابتعدت حافة العالم كثيرًا» ثم أهدته سكينًا.

نظر «مهند» حوله فوجد حافة العالم مليئة بالألوان والبشر.. فكر «مهند» أن يواصل الجري ليصل إلى حافة العالم الجديدة.. لكنه قرر العودة بعد أن عرف ما يتوجب عليه فعله.. حملته الجنيات الثلاث إلى مدينته فذهب أول ما ذهب إلى الحكيم الذي يتخفى على هيئة بائع ذرة على ناصية شارعنا وعلمه رقصة الطام طاطام.. فتحول الشارع إلى مكان أجمل مليء بأشجار التفاح.

وهكذا كلما تعلم واحد من أهل شارعنا رقصة الطام طاطام زالت عنه قطعة من القبح والقسوة لتحل محلها قطعة من الجمال.. حتى إن أعمدة الإنارة كانت تقدم أطباق لقمة القاضي للزائرين، وعزفت القطط على الكمنجات.

أما ابن الجزار فلم يعد لمضايقته؛ لأنه خاف من السكين التي حصل عليها مهند من الجنية الثالثة.

متـاهـة النجـوم

في النهاية تبدأ الحكايات، وهكذا بدأت مدينة الفطائر.

مدينة كاملة من الحلوى.. صنعها رجل يدعى شنكل.. وفتح لأهلها دكاكين لصنع الفطائر والحلوى.. لكنه لم يكشف سر صنعته لأحد ولا لأهلها؛ لذا ظلت فطائره وحلواه هي الأفضل.. لأنه احتفظ لنفسه بسر خلطة طحينة الياسمين.

لم يرزق الله شنكل بأولاد؛ لذا كان طرطوره الملون دائمًا بلا زر..

وفي يوم صنع شكل حلوى جديدة على شكل ولد يحمل قوسًا ويصطاد النجوم، لم يرغب أحد في شرائه.

فصنع شنكل فطيرة أخرى على شكل ولد آخر يخرج الأرنب من قبعة، ولم يقبل أيضًا أحد على شرائه.

فصنع شنكل ولدًا آخر يخبئ القمر في قلبه.. لكنه لم يرغب أحد أيضًا في شرائه.

مرت الأيام وراء الأيام.. وظل شنكل يبيع فطائره وحلواه كلها.. باستثناء حلوى الأولاد الثلاثة.. قرر أن يلقيهم إلى القطط في الصباح».

لكن أثناء نومه اصطاد الولد الأكبر نجمة بقوسه.. ثم أخرج الولد الثاني القمر من تحت حذائه.. أما الثالث فصنع خيطًا ملونًا يربط القمر بالنجمة.. ثم وضعوا القمر والنجمة في طرطور شنكل.

فلما صحا شنكل من نومه وجد زرًّا من قمر ونجمة لطرطوره الملون فعرف أن الله رزقه بثلاثة أولاد.. سمى الأول عبد الله والثاني عبد العزيز والثالث عبد الرحمن، وعلمهم الفطائر والحلوى وخلطة الياسمين السرية.. اشتهر الثلاثة بخفة الدم وحب الفتيات.. وكانوا زينة مدينة الفطائر وحلواها المفضلة.

لكن في يوم كان عبد الله يمارس هوايته في اصطياد النجوم بقوسه.. لكن نجوم الدب القطبي لم يعجبهم الأمر.. فاصطادوا الولد الذي يصطاد النجوم.. حزن شنكل وعبد الرحمن وعبد العزيز.

حبس الدب القطبي عبد الله في متاهة أزلية.. في نهايتها أميرة جميلة.. لكن الطريق إليها كان خطرًا.. فقد كان هناك ثعبان طوله نصف جبل وأربعة عمالقة وحفرة تحب إشعال النار في ذيول القطط.

كان على عبد الله اجتياز المتاهة كي يعود إلى مدينة الفطائر.. لكن شنكل الذي علم بالأمر عرض عليه العودة بعد أن اتفق مع الدب القطبي أن يهديه ثلاث فطائر كل عام وأن يعلمه سر خلطة طحينة الياسمين.

لكن عبد الله رفض؛ لأن سر خلطة الياسمين يجب أن يظل سرًّا مقصورًا على آل شنكل لذا اختار أن يصل إلى الفتاة التي في نهاية المتاهة.

حاول عبد الله المشي لكنه اصطدم بالكثير من الأشواك التي تقتل بالزغزغة.. لكن

عبد الله كان يحب الضحك كثيرًا؛ لذا لم يعبأ بزغزغة الأشواك لها.. بل بادلها الهجوم بزغزغة أكثر فتكًا.. حتى استطاع التخلص من الأشواك.. استخدم تلك الأشواك ونثرها في الطريق كي يعرف طريق العودة.. وفي الطريق هاجمته عقارب بيضاء لكنه أهداها بعض الفطائر فلم تؤذه.. وأهدته سيفًا لا يستخدم إلا عند احتدام الشر. ثم وجد طائرًا قرمزيًّا يحاول أن يبنيَ عشه.. لكنه كان يفشل في كل مرة.. فساعده عبد الله.. فأهداه الطائر بيضة ملونة.. وقال له لا تستخدمها إلا عند احتدام الغضب.. ثم قابل امرأة سرقت من ساحرة عجوز شعرها الفضي.. فأخرج عبد الله سبيكة من ذهب وجدل لها شعرًا من جدائل الذهب.. فأهدته المرأة ثوبًا من حرير يخفيه عن الأنظار عند احتدام الخطر. مضى الولد عبد الله.. كاد يضل الطريق كثيرًا واصطدم أكثر من مرة بحوائط سد.. وكانت الحوائط السد تملك ألسنة تستعملها ببراعة في إغاظة من يصل إليها.. فقطعها عبد الله بسيفه.. وكان ذلك خطأ؛ لأن العقارب أوصته ألا يستخدم ذلك السيف إلا عند احتدام الشر وكانت الحوائط تفعل ذلك على سبيل التسلية.. فتجمعت الألسن المقطوعة وظلت تركل عبد الله وكان عليه أن يبدأ من جديد.. فمر على الطرق التي نثرها بالأشواك فتجرحت قدماه.

كاد يبكي لأن الوصول إلى أميرته ابتعد أكثر وأكثر.. لكنه نفض عن ملابسه البكاء وقام وهو أكثر إصرارًا على الوصول.. فلما تعثر في الثعبان أيقن أنه على الطريق الصحيح.. قطع عبد الله ذيله.. لكن الثعبان صار ثعابين.. لم يعرف أي رأس عليه أن يقتله كي يقضي على الثعبان لكن الأميرة أرسلت إليه نظرة.. نظرة التصقت بعيني عبد الله إلى الأبد فعرف الثعبان الصحيح فقطع رأسه.. في الطريق قابل ببغاء ظل يقول له: يا أبله.. كاد الغضب أن يطير عقل عبد الله.. وكاد يستخدم البيضة الملونة التي أهداها له الطائر القرمزي لكنه تذكر نصيحته بعدم استخدامها إلا عند احتدام الغضب.. ففكر عبد الله قائلًا: هذا مجرد ببغاء تافه وضعه الدب القطبي كي أضل الطريق إلى أميرتي؛ لذا تجاهله وغير طريقه.

سمع صرخة طويلة.. فقد ظلت كلمة يا أبله تزداد وتزداد حتى تحولت إلى حبل شنق الببغاء..

في الطريق وجد عبد الله قصرًا كبيرًا يلعب فيه أربعة عمالقة الطاولة ويدخنون النارجيلة.. فلما اشتموا رائحته قال أكبرهم: تلك رائحة حلوى.. ثم أخرجوا سيوفهم واستعدوا لأكل عبد الله الذي ارتدى الثوب الذي أهدته له المرأة بعد أن صنع لها شعرًا من جدائل الذهب فاختفى عبد الله عن أعينهم لكنهم عرفوا طريقه من الأشواك التي كان عبد الله ينثرها ليعرف طريق العودة.. وظلوا يجرون وراءه حتى وصل عبد الله إلى الحفرة التي تهوى إشعال النار في ذيول القطط.. فخلع ثوبه.. وكانت الحفرة تناديه وتغريه قائلة: قلبي مليء بالألعاب الجميلة.. ولأن عبد الله يحب اللعب كاد يسقط في الحفرة.. ولكن لأنه أحب الوصول إلى الأميرة تشبث بخطته الأصلية وهي استدراج العمالقة إلى الحفرة.. وكاد العمالقة يأكلونه.. لكن عبد الله قال للحفرة معي بيضة جميلة ملونة.. سأقذفها بك لو خلصتِني من العمالقة الأربعة.. فلما فعل.. قامت الحفرة بلعبتها المفضلة وأشعلت النار في ذيول العمالقة الذين سقطوا في الحفرة واحدًا وراء الآخر.

أما الدب القطبي فقرر أن يغير مسار اللعبة فأعاد الأميرة إلى الطرف الآخر من المتاهة.. فكان على عبد الله أن يقطع المسافة التي نثرها بالأشواك مرة أخرى.. جرحت قدماه لكنه لم يبال؛ لأن تلك المرة كان قد عرف الطريق ولم تضلله المتاهة.. ولما وصل إليها.. فاز بقبلةَ.. لكن الدب القطبي تحداه مرة أخرى.. وطلب منه أن يصنع له فطيرة كلما أكل منها ازدادت ولم تنقص وكان هذا شرط الدب كي يعطيه أميرته.. هبط عبد الله مرة أخرى إلى مدينة الفطائر لكن دون أميرته.. فرح به شنكل وعبد الرحمن وعبد العزيز.. لكنه كان تعيسًا لأن شرط الدب القطبي كان صعبًا..

لكن عبد الرحمن أخرج له القمر من قلبه بينما أخرج له عبد العزيز الأرنب من القبعة.. تعلم عبد الله أن يضيء لمحبوبته بالقمر لتراه وأن يخرج لها الأرنب من القبعة لتضحك.. لكن محبوبته كانت تنتظر أن يصنع للدب الفطيرة التي كلما أكل منها ازدادت كي تتخلص من الأسر وتعيش مع عبد الله في بيت يخصهما..

كاد اليأس يدب من جديد في قلب عبد الله.. لكن القمر أنار قلبه بينما استطاع الأرنب أن يجعل مزاجه رائقًا للتفكير.. فخرج على صانعي الفطائر وكشف لهما سر خلطة الياسمين.. الخلطة التي تجعل فطائر شنكل أشهى.. غضب شنكل وقرر أن يحرمه من نصيبه في دكان الفطائر.. لكن عبد الله فتح لنفسه دكانًا لا يصنع الفطائر فقط.. بل يصنع فطيرة كلما أكلت منها ازدادت .. عانى كثيرًا للوصول إلى السر.. فقد كان السر في استخدام خلطة أخرى غير الياسمين.. خلطة استخدم فيها قبلة حبيبته وصنع منها خميرة لا تنفد.. استخدم نور القمر وضحكة الأرنب الصافية وصنع فطائر لا تنفد اكتسح بها محال الفطائر.

لكن كانت أفضل تلك الفطائر على الإطلاق فطيرة في حجم زر صغير.. صعد بها إلى الدب القطبي الذي سخر في البداية من حجمها.. قال له عبد الله: فقط جربها.. فكان كلما أكل منها ازدادت.. حتى صارت فطيرة بحجم متاهة من النجوم.

أخذ عبد الله أميرته وعادا معًا وسكنا مدينة أخرى صنعها لها عبد الله خصيصًا.. مدينة من غزل البنات.. ولم يكشف سر خلطته في صناعة غزل البنات لأحد قطُّ.

ولـي اللَّـه الطـالـح

كل الأشياء في النهاية كانت في يد ولي الله الطالح.. الأمر بيده والهجر والوصل.. كان ولي الله الطالح إذا جاع أثمرت الأرض من أجله؛ لأنه لم يكن يتمنى أكثر من أن يموت بين يدي الله على سجادة صلاة.. ومن هنا جاءت تسميته بولي الله.. ولكنه تمنى أن يحيا بين أحضان فتاته.. ومن هنا أسمى نفسه بالطالح.

هو عاشق يمكن ببساطة أن تسخر من نواياه الحسنة التي تفرش الأرض إلى جهنم.. لذا هجرته فتاته ولم يعد ولي الله.

ذهب ولي الله الطالح ليبدأ في تعلم مهنة العطارة ليخرج نار عشقه من قلبه.. كان يطمح إلى أختراع يطفئ نار عشقه أو اختراع يحيل نواياه الحسنة إلى طريق الجنة.

كان يحب الله ويحب فتاته.. وكانت لطمة شديدة أن يهجره الاثنان.. كان الله عاشق الكل يرقب صدقه وكذبه، وكان ولي الله الطالح لا يجيد الخطأ ليس لأنه لا يخطئ لكن لأن أرنبة أنفه كانت تشيط كلما أخطأ؛ مما اعتبره شيخ ولي الله الطالح علامة حب من الله.

كان يبكي كلما شاطت أرنبة أنفه ويقول: يا ولي كل عاشق.. يا من أولجت نورك في القلب.. اغفر لي فتعود أرنبة أنفه من جديد كأن شيئًا لم يكن.

لكن الله هجره فظلت أرنبة أنفه تشيط وظل لوع قلبه في ازدياد.

تعلم ولي الله الطالح فن العطارة وصار ماهرًا بها.. فاخترع مرهمًا يعالج أنفه.

لكنه لم يصل قطُّ إلى شيء يخرج من قلبه نار شوقه.. ولا شيء يعيد إليه الله..

رحل ولي الله الطالح من المدينة وذهب إلى أخرى ليبيع عطارته، افترش الأرض ثم عرض بضاعته: القمر المذاب لخلاف الأحباب.. وردة برية من احتفظ بها في قلبه لا يشعر بالظمأ أبدًا.. ورقة توت من شرب منقوعها لا يتعرى أبدًا.. ثم عرض مفاجأته: أغنية حزينة من يسمعها لا يؤرقه حزن.

فانتشر خبر ذلك العطار في المدينة حتى وصل إلى شيوخها الذين أتوا به وسألوه عن تلك الأشياء العجيبة فأجاب ولي الله الطالح: أبيع الجنة.. فاتهموه بالزندقة وظلوا يسبونه ويكفرون من اشترى منه.. لكن الناس واظبوا على الشراء من ولي الله الطالح.

فلجأ الشيوخ إلى تحريض السلطان العائم عليه فأمر بحبسه وجلده خمسين جلدة.. لكنه ظل صامدًا أمام الجلد، كان فقط يذكر الله عند كل جلدة قائلًا: يا نور من ليس له نور.. أعد لي محبوبي.

قضى ولي الله الطالح في زنزانته خمسين يومًا ثم خرج ليفرش بضاعته من جديد:

كحل فتاة يصلح لرؤية الله.. أذكار عشاق تصلح سلمًا للصعود إلى الله.. شعر امرأة يعينك على حب الرحمن.

فأتى الشيوخ به وسألوه عن بضاعته فأجاب ولي الله الطالح: أبحث عن الله في عيون الحبيبة.

فاتهموه بالكفر البين وحرضوا عليه السلطان الذي أمر بإعدامه.. لكن ولي الله الطالح ابتسم؛ لأنه يوقن بأن موعد موته فوق سجادة صلاة أثناء مقابلة خاصة مع الله.

لكنه لم يكن يوقن بأن حبيبته ستعود.

وفي يوم إعدام ولي الله الطالح بأكل الأوراق التي كتب فيها أفكاره وخلطاته واسم حبيبته وقف السلطان العائم ليعطي الأمر.. لكنه شعر بألم شديد يكوي قلبه.. فقال ولي الله الطالح: أملك السر وفي يدي الوصل والهجر.

فأمر السلطان العائم بفك وثاقه، وفي القصر حضر ولي الله الطالح تركيبة ودهن بها على قلب السلطان العائم فشُفي.

فقربه السلطان إلى مجلسه، ووهبه المال اللازم كي يصل إلى تركيبة تحيل النوايا الحسنة إلى طريق الجنة أو تطفئ نار شوقه إلى حبيبته.. وفي يوم دخل عليه السلطان العائم فوجده غارقًا في مناجاة.. لم يكن يناجي الله بل كان يذكر حبيبته.. فأنبه السلطان.. لكن ولي الله الطالح قال له: يا أعمى.. فتاتي وهبة الله.. وأنا أناجي وهبته.

لم يصل ولي الله الطالح إلى التركيبة التي انتظرها طيلة سنوات عمره، ثم قرر اعتزال العطارة فبنى له السلطان العائم كوخًا؛ ليقرأ فيه ولي الله الطالح سورة الإخلاص التي تعادل ثلث القرآن.. قرر ولي الله الطالح ألا يخرج من كوخه قبل أن يقرأها خمسين ألف مرة.. اقتسم منها ألفًا لحبيبته مهرها من خالقها.. وخمسة آلاف صداقها.

لكن ولي الله الطالح ظل يتعثر في العد.. طيلة أعوام.. ولم يكن يأكل سوى كسرة خبز ويقضم من قبلة قديمة ما زال طعمها في فمه.

لم يقنط ولي الله الطالح قطُّ.. فاستمر في كل مرة في بدء العد من جديد.. حتى انتهى.. فخرج ولي الله الطالح من كوخه.. ليجد السلطان العائم قد غرق في شبر ماء.. فبكاه.. ثم أخرج سلمًا وصعد إلى السماء.. ليترك رسالة: أنت نور كل شيء وخالق كل شيء.. لا قبل حبك ولا بعد حبك.. أما فتاتي فلا أقنط من رحمتك أبدًا.. ولا أعاند قدرك أبدًا.

نزل ولي الله الطالح إلى الأرض وعاد إلى العطارة وبدأ اختراع تراكيب أخرى استخدم فيها كلها سورة الإخلاص.. لكن بطل مفعول تركيبته التي كان يعالج بها أرنبة أنفه إذا أخطأ.

أقبل الناس عليه أكثر وأكثر.. لكن العطار رغم فرص الثراء العديدة التي واتته أعطى كل ما يملك كعادته لمن عرف ولمن لا يعرف؛ لذا عاش غنيًّا في انتظار حبيبته وأن يموت بين يدي الله على سجادة صلاة.

الطـــائـــر الذهـــبـــي

وضعت الكوين في اللعبة فأخذتني حبيبتي فوق تنين طائر.. كان علينا في أول عتبة أن نصل إلى طائر ذهبي يبيض بيضة واحدة من الذهب كل عام.

كان التنين لطيفًا ومهذبًا ولا يزعج الأحبة، لقد علمته حبيبتي كيف يفعل ذلك هذبته وركبت له ريشًا من حرير وفيونكة بيضاء ونفخت من بين شفتيها فحولت لون النيران التي ينفثها لأن الأصفر لم يكن لونًا لائقًا بتنين مهذب.. وعلمته أن يصطاد لنا أبوفروة بدلًا من قتل الحمام وكنا كلما جمعنا عشرة من أبو فروة ربحنا قبلة وكل قبلة بحيوات عديدة.

فتاتي أيضًا كانت حديقة من الألوان؛ الألوان المبهجة فقط.

لكنا قابلنا امرأة شرسة تأكل شحمة الأذن وبحنجرتها صوت رجل سليط، أما قلبها فقد استبدلت به قطعة عجوة كي تأكل منه كلما جاعت، وكانت تركب كلبًا يطير، له أربعة رءوس.

كانت المرأة قاسية بحق وكنت أنا الأقل مهارة في المشهد فقتلتني بسهولة؛ لذا طلبت من فتاتي استبدال ما جمعناه من أبوفروة بقبلة.. كانت القبلة كفيلة بأن تمنحني الطاقة وفرصة أخرى للحياة.. فلما عدت ألهبت المرأة بسوط، قطعت رءوس كلابها الأربعة بمسدس ليزر، فنادت المرأة القاسية على كائنات صغيرة في قلبها إبرة تجرح الأحبة.

احتاج الأمر إلى تغيير السلاح.. نفخة من نيران التنين البرتقالية أطاحت بكائنات المرأة القاسية التي كانت تتهاوى.. فلم يحتج الأمر إلا إلى ضربة من هراوتي على قطعة العجوة التي استبدلتها بقلبها.

ثم عبرت بحبيبتي لنتفرج على جنية بيضاء تسقي حديقتها..

هبط التنين الطائر عند ماكينة قهوة بجوار حديقة الجنية البيضاء.. قال لها التنين الطائر: اثنان مظبوط على نار هادئة لعاشقين.. تصرفت ماكينة القهوة على طبيعتها فأخرجت طاولة ومقعدين كتب عليهم الحروف الأولى من أسمائنا أما التنين فظل يرقب الجنية البيضاء.

بعد دقائق أخرجت لنا ماكينة القهوة كوبين من القهوة والشيكولاتة.. ثم قالت لنا: احذروا من الماضي ولا تخافوا من القادم.

ثم أخرجت الماكينة كمانًا وظلت تعزف.. لكن قطع عزفها هبوط جني عملاق اختطف الجنية البيضاء وطار.. فركبنا التنين الطائر وذهبنا لإنقاذ الجنية البيضاء.

هاجمتنا عناكب بمسدسات تقتل الفرحة.. ظلت فرحتنا تتهاوى وتتهاوى حتى أخرجت ورقة بيضاء وكتبت عليها تاريخ أول يوم قلت فيه لحبيبتي كلمة أحبك.. فعادت فرحتنا إلى قوتها.. فتساقطت العناكب لكن الجني العملاق كان قد سبقنا بكثير.. قالت ماكينة القهوة قالت لنا ابحثوا تحت الحجر.. واشطبوا كلمة مستحيل.

ضغطت زرًّا لتشغيل حاسة الشم عند التنين الطائر.. وظللنا نتبع ما يقودنا إليه حتى وجدنا حجرًا فرفعناه فخرج دخان كثيف لما انتهى عرفنا أننا أمام كهف. دخلت بسيفي محتضنًا يد حبيبتي فقد كان الكهف مظلمًا وعلمت وقتها أني أرى في الظلام إذا ما احتضنت يديها.. فرأيت الجني العملاق يحبس الجنية البيضاء في قفص.. ويقتل الورد أمامها ليعذبها أكثر وأكثر.

طلبت منه المبارزة لكنه فضل قذف حبات الليمون.. قذفت ثلاث حبات لكنها أخطأت المسار رغم اصطدامها بجسد العملاق الذي كان يضحك كأنها تدغدغه. ثم اكتشفت نقطة ضعفه.. فإذا جاءت حبة الليمون في منتصف عينيه مات.. فأصابته بين عينيه.. فلما مات أخرجنا الجنية البيضاء من القفص.. وركبت معنا التنين الطائر ولما وصلنا إلى حديقتها أهدتنا عمرًا كاملًا يمكن استبداله إذا ما احترق كل شيء.. وأعطتني سيفًا من الخيزران فازدادت أسلحتي.

وذكرتنا: لا تنسوا أبدًا ما طرتم من أجله: الطائر الذهبي الذي يبيض بيضة من ذهب.. ثم رسمت بيديها بابًا، ثم فتحته لنا.. فوجدنا عالمًا آخر بدا مهجورًا وإن كان جميلًا.

قالت فتاتي: أنعود؟ فقلت لها: لا، فعلينا أن نحذر الماضي ولا نخاف من القادم.

فطار بنا التنين الطائر.. لم يكن يطير في الحقيقة كان يلاعبنا فتشقلب بنا عدة دورات في الهواء.. ونفخ نيرانه البرتقالية ليصنع قلبًا.. دخلنا وخرجنا منه كثيرًا.. ثم اصطاد أبوفروة استبدلناها بقبلات؛ قبلات تمنح حيوات أخرى.

لكن فجأة هاجمتنا قطعان من العشاق المهجورين.. كانوا مجروحين بشدة.. ظلوا يقذفوننا بسهام من الغضب.. أصاب أحدها حبيبتي وأصابني آخر، فلم نحاربهم، بل تشاجرت أنا وفتاتي.

كانت مشاجرة طويلة جعلت قوانا تخور حتى احترق ما بنينا تمامًا وكدنا نهلك.. وبينما نحن نحاول أن نفيق ليمضي كل منا إلى طريقه.. كان التنين الطائر ينبش في قلبينا عن هدية الجنية البيضاء: عمر كامل يمكن استخدامه إذا ما احترق كل شيء.. حتى وجدها ثم نادى علينا وألبسنا إياه فوجدنا أنفسنا نغيب في قبلة طويلة.. أحرقت قلوب العشاق المهجورين الذين لم يعرفوا معنى أن يناضلوا من أجل حبيباتهن ولو بحكاية حدوتة يوميًّا لهن.

أخذنا التنين الطائر إلى سلم أخضر وتمنى لنا حظًّا سعيدًا وقال إنه سينتظرنا دائمًا.. عاشقين بلا ابتداء وبلا انتهاء.

صعدنا السلم معًا.. يد كل منا في يد الآخر.

صعدنا فوجدنا الطائر الذهبي الذي يبيض بيضة واحدة من ذهب كل عام..

وما إن اقتربنا حتى وجدنا ثعبانًا كبيرًا طوله عشرون مترًا.. كان ينوي أن يخطف بيض الذهب لكني أخرجت سيفي الخيزران الذي أهدته لي الجنية البيضاء وحولت الثعبان إلى حمامة بلا أجنحة.

اقتربت أكثر لأحصل مع حبيبتي على بيضة الذهب.. لكن كان عليَّ أن أقاتل سربًا

كبيرًا من الفراشات التي تحمل أنيابًا.. كانت أعدادها تفوق المئات.. قاتلتهم بسيفي الخيزران.. وبعد انتهائي هبط مسخ طوله طول جبل.. كانت أسلحتي قد نفدت.. لم أجد سوى سلاح دسه في جيبي التنين الطائر قبل أن يتركنا.. فلما أخرجت هذا السلاح.. ذاب المسخ حتى أتت حمامة بلا أجنحة كانت ثعبانًا وأكلت ما تبقى منه.

ابتسم لنا الطائر الذهبي وأخرج لنا بيضة من ذهب قائلًا: تستحقانها لأنكما تحذران الماضي ولم تخافا من القادم.. وقبل أن آخذها بثوانٍ لأنتقل لعتبة أخرى ومغامرة أكثر إثارة في اللعبة.. قال صاحب المحل: هذا موعدُ الإغلاق.. توسلت إليه أن يتركني لأحصل على البيضة الذهبية، لكنه أطفأ جهاز الفيديو جيم ولم يقبل توسلاتي عندما أخرجت له ما معي من جنيهات..

في طفولتي كان ذلك المشهد هو أكثر ما يصيبني بالحسرة؛ عندما تنفد نقودي ولا أستطيع مواصلة اللعب.. أو عندما أملك نقودًا كثيرة فيقول لي صاحب المحل: أغلقنا.. كل أصحاب المحال في النهاية قساة القلوب ويستحقون ضربة بسيف من خيزران.

سندوتـش «الجبنـة البيضـاء»

عبد المجيد الأصلع.. آخر الغجر الذين شاركوا في معركة الجبنة البيضاء.. تلك التي أشعلتها فتاة وجرح فيها أحمد الفاتح.

عبد المجيد الأصلع هو بواب العمارة التي يقطنها أحمد الفاتح.. وهي عمارة من سبعة أدوار يحرس منها عبد المجيد الأصلع ستة ويترك السابع لحراسة رب السماء.

يؤمن عبد المجيد الأصلع بالقدر وأهمية دخان المعسل.. وحارب بضراوة في معركة الجبنة البيضاء حتى إن أحمد الفاتح رقاه إلى رتبة غجري.

كان أحمد الفاتح يستكمل رحلته لتحرير العالم المفقود وإنشاء مملكته؛ مملكة من عصير التفاح.

بدأت تلك الحرب عندما أعلن أحمد الفاتح أنه لا يكره الجبنة البيضاء بشكل شخصي لكنه يفضل عليها اللانشون والجبنة الرومي وأنه لا يقرب الجبنة البيضاء إلا في حالة نفاد مخزون اللانشون والجبنة الرومي من الكوة السحرية التي تحول زجاجات المياه الغازية إلى مشروب مثلج وتعيد الحياة إلى قطع الشيكولاتة الذائبة.

أصر عبد المجيد الأصلع على رفض موقف أحمد الفاتح من سندوتشات الجبنة البيضاء.. خاصة بعد رفض أحمد الفاتح تقاسم سندوتشات الجبنة البيضاء مع سومة فتاة شارعنا التي انتقلت حديثًا إلى عالم أحمد المفقود. لكن أحمد ذات يوم وجد نفسه يقبل هديتها، وهي سندوتش كامل من الجبنة البيضاء كانت تعده لها بنفسها كل يوم، ثم سرعان ما صار أحمد الفاتح ينتظر السندوتشات ويتململ إذا ما تأخرت أو غابت سومة عن إحضارها يومًا.. حتى إنه أعلن قراره الملكي بأن الأصل في الأشياء هو سندوتش الجبنة البيضاء.

وفي يوم اختطف ولد من يده سندوتش الجبنة البيضاء الذي أعدته سومة له واختبأ في مدينة متاخمة لآخر حدود مملكة أحمد الفاتح مدينة «المطارق».. وكانت المدينة التي اختبأ بها الولد تدعى مدينة «السندوتشات المخطوفة».. واستطاع ذلك الولد أن يصبح حاكم تلك المدينة.

ووضع الولد الذي يدعى «بلية» سندوتش الجبنة في خزانة شديدة الحراسة من سبعة أدوار ونجح بعدها في اختطاف سومة نفسها ووضعها في قصر من الأشواك، وفرض عليها أن تعيد تطريز الخرق البالية في المدينة وتحويلها إلى قطع جميلة.

جهز أحمد الفاتح جيشه وطلب من عبد المجيد الأصلع أن يشاركه معركة الجبنة البيضاء؛ لأن «بلية» رغم ملامح وجهه القاسية يخاف بشدة من عبد المجيد الأصلع الذي لم يكن يحب طريقة لعب «بلية» للكرة فقد كان يعتمد على الإيذاء رغم أنه «أحرف» عيال شارعنا في لعب الكرة.

ركب أحمد الفاتح فيله الأزرق واقترب بجيشه من أسوار المدينة، لكن الأمير بلية كان مستعدًّا هو الآخر فأطلق الكثير من العناكب التي ظلت تنسج بمهارة شباكًا

كثيرة، التصق بها نصف جيش أحمد الفاتح، لكن عبد المجيد الأصلع الذي يؤمن بالقدر ودخان المعسل استدعى ابنته الكبرى «سعاد» والتي لم يكن يعرف أنها ترافق «مكوجي» في السر ولم يشأ أحد منا إخباره.

قال عبد المجيد الأصلع لابنته: «عليك أن تنفضي كل تلك الشباك.. لكن «سعاد» اشترطت على أبيها أن يزوجها من الولدَ المكوجي.. فرقعها عبد المجيد الأصلع علقة موت، اضطرت بعدها إلى الموافقة وكان علينا أن نجلب لها عشر مقشات سحرية ودلوًا بها ماء بصابون له رغوة لا تنضب.

وعرفنا أن تلك الأشياء موجودة لدى رجل عملاق يأكل العشاق ولا يخشى البوابين ويسكن في كوخ منعزل.

عبر أحمد الفاتح وعبد المجيد الأصلع ثلاثة أنهار حتى وصلا إلى كوخ العملاق الذي يأكل العشاق ولا يخشى البوابين.

عند الكوخ افتعل أحمد الفاتح وعبد المجيد الأصلع مشاجرة، كاد العملاق يأكلهما لولا أن سبب المشاجرة جعله يستمع إليهما.. فقد كان عبد المجيد الأصلع يمتلك في جلابيته الصعيدي أحجيات كان يتحدى بها دائمًا خيال أحمد الفاتح.

وكانت أحجية عبد المجيد الأصلع «فتاة جميلة بيتها بلا طوب أو خشب، وحوائطه بيضاء كالثلج، لا نوافذ فيه ولا أبواب، فإذا جذبت الجدران.. صارت ثيابًا؟».

أصر أحمد الفاتح على أن الإجابة هي سومة التي تعد له سندوتشات الجبنة البيضاء.. بينما أصر عبد المجيد على أنها دودة القز واستشهد في كلامه بالعملاق.

لكن أحمد الفاتح ظل يحكي ما يعرفه عن قدرة سومة على التطريز.. بينما أعد عبد المجيد الأصلع ثلاثة أكواب شاي صعيدي، لما شرب العملاق منه أحبهما جدًّا، وأعطاهما عشر مقشات سحرية ودلوًا به ماء بصابون لا ينفد.. أعطوه لسعاد لتنظف بيوت العناكب التي اقتنصت نصف جيش أحمد.. فلما فعلت كافأها أحمد الفاتح بأن جلب لها رائحة حبيبها المكوجي في زجاجة.. ولم يطلع عبدالمجيد الأصلع على ذلك السر.

استطاع عبد المجيد الأصلع أن يفتح أسوار المدينة؛ لأنه يحفظ الكثير من الأذكار الطيبة التي تزيل العسر وتفتح الأبواب الموصدة.

اخترق جيش أحمد الفاتح المدينة وذهب ليحرر سومة من قصر الأشواك وكانت سومة مشغولة بتحويل خرق «بلية» إلى ثياب أمير..

صنعت لبلية ثوبًا جميلًا من الخرق.. احتفظ به أحمد الفاتح وخرج بسومة من القصر فقابله بلية بجيشه.. وقال له: تلك ثيابي.. فرد أحمد: الثياب مقابل سندوتش الجبنة البيضاء الذي تحتفظ به في الخزانة.. لكن «بلية» طلب الحرب.. وكان الهجوم كله يتركز على عبد المجيد الأصلع لكراهية سابقة بينه وبين بلية.. لكن عبد المجيد الأصلع استطاع أن يصد ذلك الهجوم بل ويحصل على كرة القدم الخاصة ببلية.. لكن نافوخ عبد المجيد الأصلع بدأ في الانكسار وأعلن عبد المجيد توقف القتال إلى أن يشرب حجر معسل ليعدل نافوخه الخرمان.. ولم يكن لأحد أن يكسر كلمة لعبد

المجيد الأصلع.. طلب «بلية» أن يرتدي ثياب الأمير على سبيل التجربة ولو لمرة واحدة.. لم يرض أحمد الفاتح إلا بعد استعادة سندوتش الجبنة البيضاء.. لكن نظرة من سومة كانت كفيلة بإقناعه.. ارتدى «بلية» الثياب وفرح بها لدرجة أنه تصرف كأمير وأعطى أحمد الفاتح مفتاح الخزانة التي يوجد بها سندوتش الجبنة البيضاء.. ولكنه أخبره بأنه لا يستطيع السيطرة على حراس الخزانة ذات الأدوار السبعة.

قاتل أحمد أربعة أبراص يبخون اللهب وحلزونة ضخمة قبل أن يصل إلى الدور السابع الذي امتلأ عن آخره بقطيع من الفئران التي تركب القطط كخيول.

جرح أحمد الفاتح.. لكن دمه الملكي لم يكن عاديًّا.. كان دم أحمد الفاتح قادرًا على صنع الجيوش؛ جيوش من كرات الدم البيضاء والحمراء.. قاتلت الفئران حتى أبادتها وأسرت القطط التي انضمت إلى جيش أحمد الفاتح.. فتح أحمد الخزانة واستعاد سندوتش الجبنة البيضاء.. بينما كان «بلية» يفرج ثياب الأمير لعبد المجيد الأصلع.

نزل أحمد الفاتح إلى سومة وفي يده السندوتش الذي أعدته له.. قائلًا لها: فقدت من قبل سندوتشات لانشون وجبنة رومي كثيرة.. لكن تلك المرة لا أنوي فقد الأشياء الجميلة بسهولة.. رفع أحمد الفاتح رايته فوق مدينة «السندوتشات المخطوفة».. وحرر جميع السندوتشات المخطوفة وكلف عبد المجيد الأصلع بإعادتها إلى أصحابها.

بينما أعلن أحمد الفاتح سومة كملكة لمدينة السندوتشات.. وظل ينتظرها يوميًّا ويتململ إذا ما تأخرت.

ج-ن-ة الجع-ان

في الجنة سأصير ملكًا على قطيع من الماعز وعلى أشجار كبيرة تثمر الشيكولاتة..

حتى أمَلَّ الوحدة.. فأتخير رعيتي واحدًا واحدًا.. منشدين وسحرة وبوهيجية وبائعي غزل بنات وحمص شام ولاعبي سيرك وغجريات وراقصي تنورة..

ستكون مملكتي على ظهر سحابة.. شعارها بائع عرقسوس يصب الأكواب بظهر مقوس..

سيكون تاجي طرطورًا كبيرًا ملونًا وعرشي قوس قزح..

سأتنقل بسحابتي التي ستتخذ أشكالًا كثيرة – مرة تنين ومرة حصان بأجنحة ومرة فرس بحر – بين جنان الله وفراديسه.. سأصير بهجة من بهجات الجنة..ومعي رعيتي التي حاولت أن تمنح الدنيا بهجة بأشياء عبيطة..

ولأن المرء يحشر مع من أحب سيصير معي دونالد داك.. وسأصنع له جيرانًا أشرارًا يغيظونه.. لكي يصرخ بعصبية: يا مخ البسلة.. فنغرق في الضحك..

لن أحتاج إلى أجنحة أخرى.. فإن كل شيء سيصير متاحًا بلا أجنحة.. كقصري المهيب المصنوع من صدف على قمة جبل تضيئه شموع قرمزية.. لأتابع شأن رعيتي..

سنصنع معًا ألعابًا وحكايات لا تنفد..

سنغامر معًا بحثًا عن الإبر السبع التائهة في أكوام القش التي إن جمعناها سنفك أسر الأميرة التي لها بهجة أربعة فصول والتي تليق بمملكتي..

وستقص لي بائعة الطراطير العجوز حكاية عجيبة عن مملكة قديمة كانت تملكها في الأرض.. حتى خطفت الغولة ابنتها؛ لأنها كانت تملك شعرًا جميلًا وناعمًا.. فتركت ملكها وشردت بين بحور الله وأراضيه فصارت مجرد بائعة طراطير عجوز في ميدان الحسين..

أما بائع البلالين فسيخبرني عن أنه لم يكن يملك قطُّ ما يقدمه إلى الله.. لكن الله كان دائمًا عطوفًا عليه.. فكان يكتب حاجته إلى الله على البالونة ويطيرها.. فتعود وقد أجيب طلبه..

فنأخذ بلالين كثيرة ملونة نطيرها إلى عرش الرحمن على سبيل الهدية لن أكون روحًا.. بل مزيكة وجنيات وقصائد.. أما ابتسامتي فستصير فتنة الرائح والغادي.. تنثر ضياءً وماسًا.

سنمر على الأنبياء والأولياء والعابدين ونخبرهم عنا: كنا نحاول أن نمنح الدنيا بهجة بأشياء عبيطة.. وها هو الشيء نفسه يتكرر في الجنة.. لكن الفارق أن تلك الأشياء هنا تمنحكم البهجة فعلًا بلا تسفيه من أحدكم.. تلك جنتنا.

سنغوص كل يوم في بحيرة من الكرات الملونة ثم نفتحها فنجد هدايا كثيرة قد

أعدها الرب، كل ما لم نلقه في الدنيا.. كل شيء سيبهجنا.. حتى ولو طقم أسنان.. أنا شخصيًّا سيبهجني آلة عود أجيد العزف عليها أكثر من «ولهان» أمهر عازفي الملك «أشرق البدر» الذي يحكم بلدة سأحكي عنها يومًا..

سنكتشف حوريات كثيرة في فقاقيع الصابون.. حوريات تغزل الصوف لنا وتقشر لنا أبوفروة وتروي النكات وترقص وتحك ظهورنا..

سأقيم مسرحًا من ثلج للأراجوز.. ثم نقعد نحن جمهوره مرتدين ببيونات مبهجة.. ثم نتزحلق راقصين.. ضاحكين بلا انقطاع.. ثم نقذف بعضنا بعضًا بكرات الثلج..

ثم نرشق ديناصورًا عبيطًا بحبات القمح فيلتهمنا واحدًا واحدًا في جوفه مصطنعًا الغضب لا لشيء إلا ليمنحنا المرح.. ففي داخل جوفه سنكتشف شعبًا تائهًا من الحمقى سخرهم ساحر شرير ليصنعوا له عقدًا لا ينتهي من الخرز الملون.. وبعد أن ننقذهم سنكتشف مدنًا غريقة وكنوزًا عجيبة ومدينة كاملة من أناس صغار جدًّا يعيشون فوق جزيرة من قشرة مانجو.. سنحررهم من أيدي دودة القز العملاقة.. ونخرجهم إلى جنتنا لنصنع معًا لذات وبهجات عبيطة يعرف قدرها أهل الجنة بمن فيهم الأنبياء والأولياء والقديسون ولا يسفهها منهم أحد..

سيبهج أهل الجنة منظرنا كل صباح ونحن نتمطوح على أجنحة الحمام مسافرين إلى بلاد بعيدة ومعنا مؤن لا تنفد من الفستق واللوز المقشور.. لنعود ونقص عليهم الحكايات.

أحدث إصـدارات الأستاذ: أحمد الفخراني

- مملكة من عصير التفاح «حواديت».

السيرة الذاتية للكاتب

- أحمد الفخراني قاصٌّ وصحفيٌّ من مواليد الإسكندرية 1981.
- عمل في جرائد «البديل»، «أخبار الأدب»، «الشروق».

صدر لــه:

- ديكورات بسيطة.. شعر 2007.
- في كل قلب حكاية «بورتريه» دار العين 2008.

المحتويات

صفحة عنوان الكتاب	2
صفحة حقوق الطبع والنشر	3
حق النشر	4
إلـى مـس إيمـان...	5
إهـداء	6
كيـف صـرت كحـلًا؟	7
أغنيـة مـن رحيـق العالـم	8
بيـت من الصلصـال	11
الـلاشـيء العـظـيـم	14
مملكة من عصير التفـاح	16
الصياد الذي صار عازفًا	20
مـانـدورلا	23
الوقوع في غرام مصورة فوتوغرافيا	26
التـعلـب فـات	28
حكايـة البيـدق الأبيـض والفرسـة السمـراء	37
استعـادة مفتـاح العالـم	40
المـلك الذي صار مهرجًـا	43
عرائـس ورد	45
الولـد الـذي جمـع ألبـوم الشـمس	47
أمـلك اليـوم أغنـيـة	51
بـائـع الونـس	54
قهـوة سـيئة الصنـع	57
مـدينـة القبـلات	60
مدينـة المشمـش	63
مـاء بسـكـر مـعـقـود	66
حسـان وهـاجـر	68
المطبعـة المهجـورة	71

ظـل وحيـد آبـيـض 74
رقصـة الطـام طـاطـام 77
متـاهـة النجـوم 79
ولـي اللَّـه الطـالـح 82
الطـــائـــر الذهـــبـــي 84
«سـندوتـش «الجبنـة البيضـاء 87
جـنـة الجعـان 90
أحدث إصـدارات الأسـتاذ: أحمد الفخراني 92
السـيرة الذاتية للكاتب 93